



المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات
(دراسة موضوعية تطبيقية)

مريم يوسف عيسى أبو سعدة

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن
كلية العلوم الإسلامية

٢٠١٨ / ١٤٤٠ هـ

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات
(دراسة موضوعية تطبيقية)

مريم يوسف عيسى أبو سعدة

MTF113AQ274

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن
كلية العلوم الإسلامية

المشرف:

الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات

محرم ١٤٤٠ هـ / سبتمبر ٢٠١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاعتماد

تم اعتماد بحث الطالبة: مريم يوسف عيسى أبو سعدة
من الآتية أسماؤهم:

The thesis of **Maryam Youssef eisaabu sadah** has been approved

By the following:

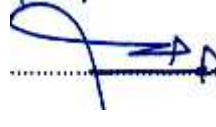
المشرف

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور / المتولي علي الشحات

التوقيع: 

المشرف على التعديلات

الاسم: الأستاذ المساعد الدكتور / هادي حسين عبدالله

التوقيع: 

رئيس القسم / يوقع عنه:

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور / السيد سيد أحمد محمد نجم

التوقيع: 

عميد الكلية / يوقع عنه:

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور / السيد سيد أحمد محمد نجم

التوقيع: 

عمادة الدراسات العليا / يوقع عنه:

الاسم: الأستاذ المشارك الدكتور / أحمد علي عبدالعاطي

التوقيع: 

التحكيم

التوقيع	الاسم	عضو لجنة المناقشة
	الأستاذ المساعد الدكتور / الطيب مبروكي	رئيس الجلسة
	الأستاذ المشارك الدكتور / السيد سيد أحمد محمد نجم	المناقش الداخلي الأول
	الأستاذ المساعد الدكتور / هادي حسين عبدالله	المناقش الداخلي الثاني
	الأستاذ المساعد الدكتور / مجدي عبدالعظيم	ممثل الكلية

** ** *

إقرار

أقرُّ بأن هذا البحث من عملي وجهدي، إلا ما كان من المراجع التي أشرت إليها، وأقرُّ بأن هذا البحث بكامله ما قُدِّم من قبل، ولم يقدِّم للحصول على أي درجة علمية من أي جامعة، أو مؤسسة تربوية أو تعليمية أخرى.

اسم الباحثة: مريم يوسف عيسى أبو سعدة

التوقيع:

التاريخ:

** ** *

DECLARATION

I acknowledge that this research is my own work except the resources mentioned in the references and I acknowledge that this research was not presented as a whole before to obtain any degree from any university, educational or other institutions

*Name of student: **Maryam Youssef eisaabu sadah***

Signature: -----

Date:

**** ** ****

حقوق الطبع

جامعة المدينة العالمية

إقرارٌ بحقوق الطبع وإثباتٌ لمشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٨ © محفوظة

مريم يوسف عيسى أبو سعدة

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات - دراسة موضوعية تطبيقية

- لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث، إلا في الحالات الآتية:
- ١- الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
 - ٢- استفادة جامعة المدينة العالمية بماليزيا من هذا البحث بمختلف الطرق؛ وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو ربحية.
 - ٣- استخراج مكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا نسخًا من هذا البحث غير المنشور، لأغراض غير تجارية أو ربحية.

أكد هذا الإقرار:

الاسم: مريم يوسف عيسى أبو سعدة

التوقيع:

التاريخ:

الشكر

إلى كل من علمني وأرشدني وأوصاني ووجهني... أتقدم بالشكر والعرفان الجزيل، وأخص سعادة الدكتور/ المتولي علي الشحات، الذي أفادنا من علمه مما ساعدنا في إعداد هذا البحث المتواضع. والشكر موصول إلى والدي الحبيين، وإخواني وأخواتي، وصديقاتي، الذين كانوا لي عوناً وسنداً.

وأقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى جميع أساتذتي الأفاضل، الذين أضاءوا لنا طريق العلم والمعرفة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

** ** *

مُلخَص البَحْث

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن علم المقاصد الشرعية، والبحث عن غايته الخفية، في مكنون الآيات القرآنية؛ له أهمية عظيمة بين العلوم؛ حيث تعلقه بأعظم كتاب على الإطلاق، ألا وهو القرآن الكريم، فضلاً عن الحاجة للوقوف على المقاصد القرآنية التي تضمنتها سور القرآن الكريم عامة، وسورة الحجرات خاصة؛ لما تضمنته هذه السورة من مقاصد قرآنية نحتاج إليها في جميع الجوانب الحياتية؛ للحفاظ على صلاح واستقرار الأفراد والجماعات، ولاستنباط الأحكام الشرعية لمواكبة المستجدات من الأحكام، وعلاج المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، ولتطبيق مراد الله ﷻ.

وقد قمْتُ بدراسة هذا الموضوع (المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات... دراسة موضوعية تطبيقية)، وكانت مشكلة البحث تتركز في: بيان المقاصد القرآنية التي تضمنتها سورة الحجرات، ومعرفة عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي، وماهية علاج مشكلة النزاع والشقاق بين المسلمين، وما تعانيه أمتنا الإسلامية من تفكك داخلي، وقد قَسَّمت البحث إلى تمهيد، وبابين:

أما التمهيد: بين يدي السورة وفيه فصلان: الفصل الأول: بُدئة مُوجزة عن السورة، وفيه أربعة مباحث، الفصل الثاني: المناسبات في السورة وفيه ستة مباحث.

أما البابين، فالباب الأول: مِنَّة الله على الأمة ببَعثة النبي ﷺ، وفيه خمسة فصول، الباب الثاني: الإسلام والإيمان ودورهما في ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي وفيه فصلان.

وقد سلكت في مَنهج البحث أسلوب التَّبَع والاستقراء لآيات سورة الحجرات، ثم الوصفي التحليلي؛ ليتضح لنا ما تضمنته السورة من مقاصد شرعية، ومدى الحاجة للوقوف على تلك المقاصد، وأثر التمسك بها في صلاح الفرد والمجتمع.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها: شدة الحاجة في هذا العصر خاصَّة للوقوف على المقاصد القرآنية من خلال سور القرآن الكريم.

*** ** *

Research abstract

Praise be to God and prayers and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions, and after:

The knowledge of the legitimate purposes and the search for its hidden purpose in the Quranic verses is of great importance among the sciences. It is attached to the greatest book of all, the Holy Quran, as well as the need to find out the Quranic purposes contained in the Holy Quran in general, Because of the Quranic purposes that we need in all aspects of life; to maintain the good and stability of individuals and groups, and to devise legal provisions to keep abreast of the latest provisions, and to address social and moral problems, and to apply the Murad Allah Almighty.

I have studied this topic (Quranic Purposes in Surat Al-Kharjat... an objective applied study). The problem of the research was concentrated in the statement of the Quranic intentions contained in Surat Al-Kharjat and the factors of the stability and cohesion of the Islamic community. Our Islamic nation from internal disintegration.

The research has been divided into two sections :

As for the preamble: I have two chapters in the hands of the Surah: Chapter One: A brief summary of the Surah, with four chapters on it .

As for the two doors, the first part: God's gift to the nation in the mission of the Prophet peace be upon him, and five chapters, the second section: Islam and faith and their role in the stability and cohesion of the Muslim community and two chapters.

The method of tracking and extrapolation of the verses of Surat Al-Kharat and the analytical descriptive is followed in the research method. It is clear to us what the Sura contains from the purposes of legitimacy, and the extent of the need to stand up for these purposes and the effect of adhering to them in the goodness of the individual and society .

One of the most important findings was: The need in this era especially to find out the purposes of the Quran through the Koran.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاعتماد	ب
التحكيم	ج
إقرار	د
الشكر	ز
الإهداء	ح
ملخص البحث	ط
الملخص بالإنجليزية	ي
المحتويات	١
المقدمة	٤
الفصل الأول خلفية البحث	٥
تساؤلات البحث:	١٢
مصطلحات البحث:	١٥
أهمية البحث:	١٨
الفصل الثاني: أدبيات البحث	١٩
الإطار النظري:	١٩
الدراسات السابقة:	١٩
الفصل الثالث: خطوات البحث	٢٦
منهج البحث:	٢٨
الفصل الرابع: الخاتمة	٣١
التمهيد: بين يدي السورة	٣٢
الفصل الأول نبذة موجزه عن السورة	٣٣

المبحث الأول التعريف العام بالسورة.....	٣٤
المبحث الثاني عدد آيات السورة وأسمائها.....	٣٦
المبحث الثالث ترتيب نزول السورة.....	٣٧
المبحث الرابع أسباب نزول السورة.....	٣٨
الفصل الثاني المناسبات في السورة.....	٣٩
المبحث الأول معنى المناسبة لغة واصطلاحًا.....	٤٠
المبحث الثاني أهمية علم المناسبات وفائدة معرفة المناسبة.....	٤٢
المبحث الثالث مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد، وسورة الفتح".....	٤٤
المبحث الرابع مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق".....	٤٦
المبحث الخامس مناسبة أول السورة لآخرها.....	٤٨
المبحث السادس المحور الأساس للسورة.....	٤٩
الباب الأول منة الله على الأمة ببعثة النبي ﷺ.....	٥١
الفصل الأول فضل النبي ﷺ.....	٥٢
الفصل الثاني حقوقه ﷺ من خلال سورة الحجرات.....	٥٧
الفصل الثالث الأدب مع النبي ﷺ من خلال سورة الحجرات.....	٦٠
الفصل الرابع حكم تقديم الرأي والاجتهاد على الكتاب والسنة.....	٦٣
الفصل الخامس مواقف من أدب الصحابة رضوان الله عليهم.....	٦٥
الباب الثاني الإسلام والإيمان ودورهما في ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي.....	٧٠
الفصل الأول الإسلام والإيمان.....	٧١
المبحث الأول مراتب الإسلام.....	٧٢
المبحث الثاني مراتب الإيمان.....	٧٥
المبحث الثالث الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا.....	٧٧
المبحث الرابع الإسلام أعمّ من الإيمان.....	٧٩
المبحث الخامس بيان المؤمنين حقًا.....	٨١

المبحث السادس المنّ المحمود والمذموم	٨٣
المبحث السابع سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء	٨٦
الفصل الثاني عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي	٨٨
المبحث الأول المنهج الإسلامي في تلقي الأخبار	٨٩
المبحث الثاني رفع الحرج والعنت عن الأمة	٩٥
المبحث الثالث ذكر عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما	٩٨
المبحث الرابع الإصلاح بين المتخاصمين	١٠٠
المبحث الخامس علاج مشكلة النزاع بين المسلمين، والقضاء على أسباب الخلاف، وترضية المتخاصمين	١٠٣
المبحث السادس رابطة الإخاء والود بين المؤمنين	١٠٦
المبحث السابع حرمة المسلم	١٠٩
المبحث الثامن مبدأ الإخاء الإنساني والمساواة بين الشعوب	١١٣
الخاتمة	١١٦
الفهارس العامة	١١٩
فهرس الآيات	١٢٠
فهرس الأحاديث	١٢٩
فهرس الأعلام	١٣٢
المصادر والمراجع	١٣٤

** ** **

المقدمة

الفصل الأول

خلفية البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن العلم بمقاصد سور وآيات القرآن من أعظم العلوم وأشرفها، كيف لا وهو يتعلق بأعظم كتاب، ومن ثم بات واجباً على المسلمين التعمق في معانيه لمعرفة ما يحويه من مقاصد شرعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكليات الخمس؛ من الحفاظ على الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، والتي أوجب الشرع الحفاظ عليها.

وعلم مقاصد الشريعة نوع دقيق من أنواع العلوم، لا يخوض فيه إلا من بلغ درجة من العلم، ووهب قدرًا من لطف الذهن واستقامة الفهم، خاصة علم المقاصد القرآنية؛ حيث الكلام عن الله تعالى.

ولقد أحس علماء الإسلام في وقت مبكر - بعد الصدر الأول - بوقوع انفصام بين تعاليم الإسلام وقواعده ومبادئه من جهة، وواقع المسلمين وممارستهم الحياتية من جهة أخرى، فبذل أولئك العلماء الجهد لرتق^(١) الفتق، ورأب^(٢) الصدع، وإعادة الاتصال الوثيق بين الإسلام والمسلمين؛ ذلك الاتصال الذي جعل من مسلمي الصدر الأول مصاحف تمشي على الأرض؛ خلُقًا، وسلوكًا، وتعاملاً.

ولقد كان أهم وأبرز وسائل العلماء في تحقيق ذلك: بيان علل الأحكام، وغايات الإسلام، ومقاصد الشريعة وأهدافها؛ فبينوا أن لكل حكم من أحكام الإسلام وظيفة يؤديها، وغاية يحققها،

(١) الرتق ضد الفتق وقد رتق فارتتق أي التأم. ومنه قوله تعالى: (كَانُوا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمْ) [الأنبياء: ٣٠].

ينظر: الرازي، مختار الصحاح ص: ١١٨، باب الرء، مادة ر ت ق.

(٢) رأب الرء والهمزة والباء أصل واحد يدل على ضم وجمع، تقول: رأبت الأمور المتفرقة، إذا أنت جمعتها برفقك.

ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ٢/ ٤٧٣، باب الرء والهمزة وما يثلثهما، مادة ر أ ب.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وعلة ظاهرة أو كامنة يعمل لإيجادها، ومقصداً وهدفاً يقصده ويستهدفه؛ لتحقيق مصلحة للإنسان، أو دفع مفسدة ومضرة عنه.

كما أوضحوا أن هذه المقاصد والحكم والغايات والعلل قد تشتمل عليها نصوص الكتاب والسنة أحياناً، وقد يصل إليها العلماء، ويكشفون عنها بالاجتهاد في فهم الكتاب والسنة، وسائر أدلة الأحكام.

كذلك حدد العلماء المسالك الموصولة إلى الكشف عن تلك المقاصد، وفهم وبيان تلك المصالح، وتحديد العلل. فلا بد إذاً للفقهاء من معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية - وهي الغاية التي لأجلها أنزل الله شريعته -، والإحاطة بفقهاء الأولويات، وعدم الخلط بين ما هو جزئي وكلي، ومتغير وثابت، وحاجي وضروري؛ حتى لا تتغلب حينئذ الجزئيات على الكلّيات، وتحل محلها، والمتغيرات على الثوابت، فتغدو الأولى بمثابة الثانية، وتتقدم الحاجيات على الضروريات، وربما النوافل على الفرائض.

فمقاصد الشريعة تحتل منزلةً كبرى داخل منظومة الدراسات الشرعية عامة، والقرآن الكريم خاصة، فهي جزء من الشريعة ومن نصوصها، بل هي ملازمة للشريعة نفسها، والقرآن الكريم يلفت نظرنا إلى نظرية المقاصد من خلال سوره وآياته.

ويؤكد لنا القرآن الكريم أن كل شيء خلقه الله بقدر، فليس في خلق الله وقدره شيء بلا حكمة أو بلا مقصد، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (سورة القمر، الآية: ٤٩) ، وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا} (سورة الفرقان، الآية: ٢) ، وما يقال في خلق الله - سبحانه وتعالى - يقال في شرعه، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} (سورة الفرقان، الآية: ٥٤) ، وما يقال في خلق الله - سبحانه وتعالى - يقال في شرعه، فالله لم يكلفنا بشيء ولم يفرض علينا شيئاً إلا وله مصالحه ومقاصده، وكذلك لم يحرم علينا شيئاً إلا وله مفسده، يقول ابن القيم^(١) رحمه الله: "ليس في

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكان حسن الخلق، محبوباً عند الناس، ألف تصانيف كثيرة، منها: إعلام الموقعين عن رب العالمين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وشفاء العليل في مساء القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي: ٥٦/٦، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الشرعية حكم واحد إلا وله معنى وحكمة، يعقلها من عقل ويخفي على من خفي عليه"^(١).

ويؤكد الفخر الرازي^(٢) هذا المعنى ببرهانٍ عقليٍّ منطقيٍّ؛ إذ يقول: "إنه تعالى حكيم بإجماع المسلمين، والحكيم لا يفعل إلا لمصلحة، فإن من يفعل لا لمصلحة يكون عابثًا، والعبث على الله تعالى محال بالنص والإجماع والمعقول"^(٣).

وحينما بدأ عصر التدوين كان للمقاصد الشرعية مكانتها من حيث التأصيل والتأليف؛ فقد ازدهرت مقاصد الشريعة في القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية، وهي الفترة التي ازدهرت فيها كل العلوم، ثم ارتبط علم المقاصد بعد ذلك بعلماء وأئمة كبار من أشهرهم الإمام الجويني^(٤)، والغزالي^(٥)، والآمدي^(٦)، والعز بن عبد السلام^(٧)، والقراي^(٨).

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين ٢ / ٨٦.

(٢) هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي، ولد بالري سنة ٥٤٣ هـ، وتوفي في بخره سنة ٦٠٦ هـ وهو من ذرية أبي بكر الصديق، له تصانيف عديدة، من أشهرها: المحصول في علم الأصول، وتفسيره المسمى مفاتيح الغيب والمشهور بالتفسير الكبير أو تفسير الفخر. كشف الظنون: ٦ / ١٠٧، ١٠٨، والنجوم الزاهرة، ٦ / ١٩٧.

(٣) الفخر الرازي: المحصول ٢ / ٢٨٨.

(٤) هو ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني، ولد سنة تسعة عشر وأربعمائة بقرية جوين إحدى قرى نيسابور، ببلاد خراسان، وتوفي في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٨ هـ وله تسع وخمسون سنة، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، انظر سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ١٨ / ٦٨، طبقات الشافعية لعبد الرحيم الإسنوي - تحقيق كمال يوسف الجوت ص ١٩٨. الجويني: التلخيص، ١ / ٤٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢ / ١٨٧.

(٥) هو أبو حامد محمد الغزالي الطوسي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، ويُعرف بـ "الغزالي" نسبة إلى صناعة الغزل، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران قصبه طوس، بخراسان رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده ولد عام ٤٠٥ هـ وتوفي عام ٥٠٥ هـ، انظر: الإعلام للزركلي ٧ / ٢٢ انظر: مقدمة تحقيق كتاب الوجيز في الفقه، الإمام الغزالي، علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الأرقم، بيروت، ١، ١٩٩٧ م.

(٦) أبو الحسن سيف الدين الآمدي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، ولد عام ٥٥١ هجرية، أصولي، كان حنبليًا، ثم تحول إلى المذهب الشافعي. قديم بغداد فتعلم القراءة، وبرع في الخلاف، وتفنن في أصول الدين وأصول الفقه والفلسفة. رحل إلى مصر وتصدّر للإقراء والفقه الشافعي، فتلمذ عليه خلق كثير، توفي سنة ٦٣١ هـ، انظر: طبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة ٢ / ١٧٤، وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٠، طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٣٠٦، سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٦٤، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١ / ٣٩٨، شذرات الذهب ٥ / ١٤٤.

(٧) هو: العز بن عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسليمان العلماء، ولد ونشأ في دمشق وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ، من كتبه التفسير الكبير والإمام في أدلة الأحكام وقواعد الشريعة والفوائد وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام.

ينظر: السبكي، طبقات الشافعية ٨ / ٢٠٩، ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية ٢ / ١٠٩.

(٨) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي البهنسي المصري، ولد سنة ٦٢٦ هـ،

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

والطوفي^(١)، والشاطبي^(٢)، وابن عاشور^(٣)، وغيرهم.

والمأمل في سور الكتاب الكريم، والمتدبر لآياته بما تضمنته من أحكام وأخبار ووصايا، يجد أن الله ﷻ ذكر في كتابه أحكامًا عامة وكمالات أساسية، وكان الاهتمام بها مُنصبًا على مقاصد هذا الدين عامة وكمالاته الأساسية، ولم يُعرج على تفاصيل الأحكام إلا في مواضع قليلة، ومواطن محددة؛ وذلك أن القرآن الكريم كتاب كل زمان ومكان، وكتاب الماضي والحاضر والمستقبل، فاقضى الحال أن يكون خطابه عامًا وكماليًا؛ لتبني الأحكام الفرعية ومستجداتها على القواعد والأسس والمقاصد التي ذكرها الله ﷻ في كتابه، ومن هنا جاءت كل سورة من سوره تبرز مقصدًا رئيسًا، وهدفًا كليًا تدور حوله السورة، وتحوم عليه؛ إبرازًا له وتأكيده عليه.

يقول ابن عاشور رحمه الله: "إنَّ القرآن أنزله الله تعالى كتابًا لصلاح أمر الناس كافة، رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال الله تعالى: { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ } وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ (سورة النحل، الآية: ٨٩)، فكان المقصد الأعلى منه: صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتركيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد

= توفي - رحمه الله - بدير الطين في جمادى الآخرة عام أربعة وثمانين وستمائة ودفن ب القرافة بمصر.

ينظر: البغدادي، هدية العارفين لإسماعيل ١/ ٩٩، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون ١- ٦٢- ٦٧.

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، ولد ٦٥٧ هـ - ١٢٥٩ م فقيه حنبلي، من العلماء. ولد بقرية طوف - أو طوفا - من أعمال صرصر: في العراق ودخل بغداد سنة ٦٩١ هـ، توفي سنة ٧١٦ هـ، ١٣١٦ م.

ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ١/ ٩٠، الزركلي، الأعلام ١/ ٩٥.

(٢) هو أبو القاسم، أو أبو محمد، القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرُّعيني الأندلسي الضريز، ولد الشاطبي في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبية، وسمي بالشاطبي نسبة إلى شاطبة، مدينة كبيرة، ذات قلعة حصينة، بشرق الأندلس. عاصر العصر العباسي بأكمله وله العديد من المؤلفات، توفي - رحمه الله - في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، سنة تسعين وخمسمائة هجرية بالقاهرة، ودفن بالقرافة، بين مصر والقاهرة، بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني.

ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٣٠٠، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية ١/ ٣٩٨.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ولد ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م، عمل رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عُين عام ١٩٣٢ شيخًا للإسلام مالكيًا، توفي ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٠، طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٠٦.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

والكبر.

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي؛ إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات وموآبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية.

وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض، على وجه يحفظ مصالح الجميع^(١).

وقد ازداد في عصرنا الحاضر الاهتمام بالمقاصد الشرعية، والبحث عن الغايات الخفية في مكنون الآيات القرآنية، ويرجع سبب ذلك إلى أهميته - علم المقاصد - في جميع الجوانب الحياتية وسرعة عجلتها، وتلاحق أزمته، والحاجة الماسة للحفاظ على صلاح واستقرار الأفراد والجماعات، ولاستنباط الأحكام الشرعية لمواكبة المستجدات من الأحكام، أو في الإفتاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاج المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، ولتطبيق مراد الله وَعَلَيْكُمْ، وتحقيق الخلافة في أرضه، والرد على المزاعم والشبه الباطلة التي يثيرها أعداء الدين لصد الناس عنه، ودحض^(٢) أفكارهم المنحرفة؛ فذلك تسخير الله خلقه لحفظ دينه، وهو وعد من الله بإتمام نوره ولو كره الكافرون.

وينبغي على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبليغها، وقد ذكرها ابن عاشور في كتابه «التحرير والتنوير»، والتي منها:

- ١- إصلاح الاعتقاد وتعليم العقيد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق.
- ٢- تهذيب الأخلاق، قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } (سورة القلم، الآية: ٤).
- ٣- التشريع، وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (سورة المائدة، الآية: ٣)، المراد بها إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس.
- ٤- سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها. قال

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ٣٨.

(٢) دحض، أبطل، يقال دحض أفكارهم، أبطلها بالحجة والدليل.

ينظر: الرازي، مختار الصحاح ص: ١٠٢، باب الدال، مادة د ح ض.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

تعالى: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (سورة آل عمران، الآية: ١٠٣).

٥- القصص وأخبار الأمم السالفة؛ للتأسي بصالح أحوالهم، وللتحذير من مساوئهم.

٦- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار.

٧- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

٨- الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ. قال تعالى: { فَكَأَنَّمَا نُسُورَةٌ مَثَلَهُ } (سورة يونس، الآية: ٣٨) ^(١).

وكم عانت المجتمعات البشرية من ويلات القوانين التي يضعها البشر؛ لذلك كان لا بد لهذه الضوابط التي تحكم حركة المجتمع أن تكون من مصدر فوق مستوى الشبهات، وفوق مستوى الأهواء والمصالح الطبقية، وهذا لا يتحقق أبدًا إلا إذا كان مصدر هذه الضوابط متعالياً عن أهواء البشر وأغراضهم، ولا يكون كذلك إلا أن يُستمد من الوحي الإلهي، وما سنَّه للبشرية من تشريعات لجلب المصالح ودرء المفاسد للناس جميعاً؛ فإن مقاصد الشريعة وأهدافها الكبرى تدور كلها حول هذين الغرضين: جلب المصالح ودرء المفاسد لكل الناس، والفرد والمجتمع على سواء. وفي ضوء هذه المقاصد الشرعية تتحدد علاقة الأفراد والجماعات، وتنظم علاقة الفرد بالمجتمع، والحاكم بالمحكوم: الرجل والمرأة، العالم والمتعلم، الغني والفقير، القوي والضعيف، وبعبارة جامعة: تنتظم في ضوئها شبكة العلاقات الاجتماعية لتتوجه حركة المجتمع كله لتحقيق الأهداف الكبرى التي تهدف إليها مقاصد التشريع، وتسعى إلى تحقيقها في المجتمع ^(٢).

ومن هنا كان اختياري لموضوع هذه الدراسة: (المقاصد القرآنية في سورة الحجرات... دراسة تطبيقية موضوعية)؛ حيث بيان المقاصد القرآنية التي تضمنتها هذه السورة، مع الدراسة التطبيقية لها، وإبراز أهمية تلك المقاصد في بيان سماحة الإسلام ورحمته باتباعه.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/٣٩-٤١.

(٢) الجليند، الوحي والإنسان، د. ط، ١/٢٠٧.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث (المقاصد القرآنية في سورة الحجرات... دراسة تطبيقية موضوعية) في أهمية دراسة علم المقاصد الشرعية، من خلال سور القرآن الكريم؛ حيث يتضمن القرآن الكريم مقاصد الشريعة، والتي بها صلاح الفرد والمجتمع، ومن ثمّ كان الوقوف عليها من الأهمية بمكان، خاصة مع ما تعانيه أمتنا الإسلامية الآن من تفكك داخلي، ومن سوء في العلاقات بين الأفراد والبلدان، وكون منشأ هذا التفكك هو بُعد المسلمين عن شرع ربهم، والتعصب للآراء والأهواء، وتقديمها على النصوص المحكمة من القرآن الكريم والسنة النبوية، كذا تغافل الناس عن كثير من الحقوق التي تجب عليهم تجاه ربهم جل وعلا، ونبيهم ﷺ؛ فجاءت هذه الدراسة لتعالج كثيراً من تلك القضايا، مبيّنة مواطن الخلل من خلال وصف المشكلة أو القضية، مع وضع الحلول لها، وكيفية معالجتها، والوقاية منها قبل وقوعها.

** ** **

تساؤلات البحث:

١. ما هو التعريف العام بالسورة؟
٢. ما عدد آيات السورة وأسمائها؟
٣. أين يقع ترتيب نزول السورة بين سور القرآن الكريم؟
٤. ما هي أسباب نزول السورة؟
٥. ما معنى المناسبة لغةً واصطلاحاً؟
٦. ما هي أهمية علم المناسبات، وما الفائدة منه؟
٧. ما هي مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد وسورة الفتح"؟
٨. ما هي مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق"؟
٩. ما هو مناسبة أول السورة لآخرها؟
١٠. ما هو المحور الأساس للسورة؟
١١. ما هو فضل النبي ﷺ؟
١٢. ما هي حقوقه ﷺ؟
١٣. ما هي الأدب التي يجب التأدب بها مع النبي ﷺ؟
١٤. ما هو: حكم تقديم الرأي والاجتهاد على الكتاب والسنة؟
١٥. ما هي أهم مواقف أدب الصحابة رضوان الله عليهم.
١٦. ما هي مراتب الإسلام؟
١٧. ما هي مراتب الإيمان؟
١٨. ما هو الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا؟
١٩. ما هي صفات المؤمنون حقاً؟
٢٠. ما هو المنّ المحمود والمذموم؟
٢١. ما هي دلائل سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء؟
٢٢. ما هي عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي؟
٢٣. ما هو علاج مشكلة النزاع بين المسلمين والقضاء على أسباب الخلاف وترضية المتخاصمين؟

أهداف الدراسة:

١. الوقوف على التعريف العام بسورة الحجرات.
٢. بيان عدد آيات السورة وأسمائها.
٣. معرفة ترتيب نزول السورة بين سور القرآن الكريم.
٤. بيان أسباب نزول السورة.
٥. بيان المقصود بالمناسبة لغةً واصطلاحاً.
٦. بيان أهمية علم المناسبات، والفائدة منه.
٧. معرفة مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد وسورة الفتح".
٨. بيان مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق".
٩. معرفة مناسبة أول السورة لآخرها.
١٠. بيان المحور الأساسي للسورة.
١١. بيان فضل النبي ﷺ.
١٢. الوقوف على حقوقه ﷺ.
١٣. معرفة الآداب التي يجب التأدب بها مع النبي ﷺ.
١٤. بيان حكم تقديم الرأي والاجتهاد على الكتاب والسنة.
١٥. بيان أهم مواقف أدب الصحابة رضوان الله عليهم.
١٦. معرفة مراتب الإسلام.
١٧. بيان مراتب الإيمان.
١٨. بيان الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا.
١٩. الوقوف على صفات المؤمنين حقاً.
٢٠. بيان المنّ المحمود والمذموم.
٢١. معرفة دلائل سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء.
٢٢. الوقوف على عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي.
٢٣. الوقوف على علاج مشكلة النزاع بين المسلمين والقضاء على أسباب الخلاف وترضية المتخاصمين.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وإنني لأسعى من خلال هذا العمل والبحث المتواضع أن يمنّ الله عليّ بالفتح من عنده، لأنفع أمتي ما استطعت، لنصل إلى ما وصل إليه سلفنا الصالح من مكارم الأخلاق التي أساسها ومنبعها هو إيمانهم بالله وَعَبَّادٌ، وطاعتهم لرسوله ﷺ على كل حال، فذلك هو الطريق الموصل - بإذن الله تعالى - إلى رضوانه والجنة، أسأل الله أن يجعلنا من أهلها بفضلته ومنه وكرمه، وأن يعفو عنا، ويتجاوز سبحانه عن تقصيرنا، ويمحو الزلل.

** ** **

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

مصطلحات البحث:

تعريف المقاصد لغة:

القصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد^(١). قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} (سورة النحل، الآية: ٩)، وطريق قاصد: سهل مستقيم. وسفر قاصد: سهل قريب. وفي التنزيل العزيز: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ} (سورة التوبة، الآية: ٤٢)^(٢).

ويقال: قصد فلان في مشيه إذا مشى سويًا، واقتصد فلان في أمره: إذا استقام^(٣). والقصد: العدل^(٤). والقصد في المعيشة: ألا تُسْرِفَ ولا تُقْتَرِ^(٥).

"وقصدت الشيء وله وإليه قصدًا، من باب ضرب: طلبته بعينه، وإليه قصدني ومقصدي - بفتح الصاد، واسم المكان بكسرها - نحو مقصد معين"^(٦).

اصطلاحًا:

اتضح لي من خلال الاستقراء أنه لم يوجد عند العلماء الأوائل تعريف واحد أو محدد لمقاصد الشريعة؛ وإنما وجدت كلمات وجُمَل لها تعلق ببعض أنواعها وأقسامها؛ فقد ذكروا الكليات الخمس "حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال" - والذي عليه مدار بحثي إن شاء الله تعالى-، وذكروا المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وبعض الحِكَم والأسرار والعلل المتصلة بالأحكام وأدلتها.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: "أما المصلحة: فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة ودفع مضرة، ولسنا نعني به ذلك؛ فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكن نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشارع، ومقصود الشارع من الخلق خمسة

(١) الفراهيدي، العين، د. ط، ٥٤/٥. مادة قصد.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط ٣، ٣٥٣/٣.

(٣) الأزهرى، تهذيب اللغة، ط ١، ٢٧٦/٨.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د. ط، ٣٥٣/٣.

(٥) البصري، العين، د. ط، ٥٤/٥.

(٦) الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط، ٥٠٤/٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وهو: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، وما لهم... وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة" (١).

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "الشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفساد وتجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} (سورة البقرة، الآية: ١٠٤) فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شرّاً يزعجك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر" (٢).

وقال: "ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفساد، حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك" (٣).

وعرفها ابن تيمية (٤) رحمه الله بأنها: "الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته، وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة؛ تدل على حكمته البالغة" (٥).
وقال أيضاً: "وأن لفعله سبحانه غاية محبوبة وعاقبة محمودة" (٦).

الخلاصة:

إن المقاصد الشرعية هي جملة ما أَرَادَهُ الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية، كـمصلحة الصوم (٧) والتي هي بلوغ التقوى،.....

(١) الغزالي، المستصفى، ط ١، ١٧٤/١.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، د. ط، ١١/١.

(٣) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، د. ط، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩١م. ١٨٩/٢.

(٤) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني، ولد في حران، توفي سنة ٧٢٨هـ، ومن أشهر مصنفاة: الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى السياسة الشرعية و الفتاوى خمس مجلدات، و الإيمان و الجمع بين النقل والعقل و منهاج السنة و الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان و الوساطة بين الحق والخلق.

ينظر: ابن خلكان، الوافي بالوفيات ١١/٧، ابن حجر، الدرر الكامنة ١/١٦٨.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د. ط، ١٩/٣.

(٦) ابن تيمية، منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، ط ١، ٤٦٥/١.

(٧) الصوم لغة: من صام يصوم صوماً وصياماً، قيل: هو مطلق الإمساك في اللغة، ثم استعمل في الشرع في إمساك مخصوص.

ينظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح ص: ١٨١، باب الصاد، مادة ص و م،

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

ومصلحة الجهاد^(١) والتي هي درء العدوان والذب عن الأمة، ومصلحة الزواج والتي هي غض البصر وتحسين الفرج وإنجاب الذرية وإعمار الكون^(٢).

** ** **

= المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١ / ٣٥٢، كتاب الصاد، مادة ص و م، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، د-ط، د-ت.

واصطلاحًا: الإمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

ينظر: ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، المغني لابن قدامة ٣ / ١٠٥، الناشر: مكتبة القاهرة، د-ط-ت.

(١) الجهاد لغة: الجهد بفتح الجيم وضمها الطاقة، والجهد بالفتح المشقة يقال: جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها وجهد الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ وبأجماع قطع، وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادًا.

ينظر: الرازي، مختار الصحاح ص: ٦٣، باب الجيم، مادة ج ه د.

واصطلاحًا: قتال الكفار خاصة.

ينظر: ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين، المبدع في شرح المقنع ٣ / ٢٨٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط ١، ١٧/١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

أهمية البحث:

أهمية الموضوع تبرز - في نظر الباحث - أهمية البحث في نقاطٍ عدةٍ، منها:

- ١- تعلق هذا البحث بدراسة كتاب الله العظيم، وما يحويه من معانٍ وأحكام.
- ٢- شدة الحاجة في هذا العصر للوقوف على المقاصد القرآنية من خلال سور القرآن الكريم.
- ٣- تعرُّض الأمة الإسلامية للغزو الفكري جعل كثيراً منهم في شك من صلاحية الشرعية لهذا الزمان، فجاءت هذه الدراسة للرد على شبه هؤلاء والعمل على دحضها.
- ٤- دراسة مقاصد هذا الشرع وبيانها لعامة الناس وخاصتهم؛ حتى نقف ضد التيارات المضللة المنحرفة.
- ٥- خدمة أهل العلم بالبحث والتنقيب حول هذا الموضوع.
- ٦- قلة المؤلفات حول هذه الدراسات.
- ٧- تزويد المكتبة العربية والإسلامية بمؤلف جديد، جمع بين طياته حلقة من حلقات البحث العلمي.

*** *** ***

الفصل الثاني: أدبيات البحث

الإطار النظري:

اهتم العلماء الأفاضل في العقود المتأخرة ببيان مقاصد القرآن الكريم، واستنبطوا الكثير من المقاصد السامية لهذا الكتاب العظيم، ومما حدا إلى ذلك هو ما تمر به الأمة الإسلامية من هيمنة التشريع العالمي على الأمم، وما يوجه للإسلام من مطاعن؛ فأصبحت الحاجة لبيان مقاصد القرآن الكريم مُلِحَّة؛ لكي يثبت للجميع أنه صالح لك زمان ومكان، وأنه السائد على كل الكتب وجميع التشريعات حتى قيام الساعة.

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن، ويتساءل المرء في نفسه، عندما يهم بدراسة موضوع معين: ما الفائدة التي أرجوها، وأتطلع لها، وأسعى لبيانها من خلال دراسته؟ وما هي الثمرة التي سأجنيها؟ وهل سأنفع بذلك نفسي أولاً وديني ومجتمعي؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تشغل ذهن الباحث، وكل همه وغاية مطلبه أن يجني الفائدة في نفسه وأمته، وأعظم من ذلك أن ينال الأجر من الله ﷻ، ولا يكون ذلك إلا بإخلاص العمل له سبحانه وتعالى.

وإنني في هذا البحث أسعى جاهدة لأحذو حذو علمائنا الأفاضل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فما أحسنت فيه فبتوفيق من الله، وما أسأت فيه فمن تقصيري وضعفي، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد والقبول.

الدراسات السابقة:

بعد عدة جولات من البحث في المكتبات الجامعية والعامية، ومراكز البحوث والمكتبات الإلكترونية ومواقع الانترنت؛ لم يتمكن الباحث من الوصول إلى دراسات سابقة، مرتبطة ارتباطاً مباشراً بموضوع دراستي.

١- الدراسة الأولى: "منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات" رسالة ماجستير من قسم الحسبة والدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٢ هـ.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وقد جاءت هذه الدراسة في ستة فصول، الفصل الأول: تحدث فيه الباحث عن الوحدة البشرية في النشأة وحدة الخالق، ثم تحدث الباحث في الفصل الثاني عن دور الإيمان في بناء المجتمع المسلم، وفي الفصل الثالث تحدث الباحث عن العمل بالكتاب والسنة، وفي الفصل الرابع تكلم الباحث عن الآداب مع الرسول ﷺ حيًا وميتًا، وفي الفصل الخامس تكلم الباحث عن أسباب الفرقة وعلاجها، ثم جاء الفصل السادس تكلم الباحث عن التدابير الوقائية لبقاء الروابط بين أفراد المجتمع، ثم ختم الباحث بحثه بخاتمة بين فيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطي والتنقيب من المراجع المختلفة.

وقد توصل الباحث إلي نتائج تشير إلى أن أدب القرآن يتضمّن ما فيه سعادة البشر في الدارين، وما تضمنته سورة الحجرات من نظام كامل ودستور شامل لمجتمع مؤمن، وأشار إلى وحدة أصل البشرية، وأن أساس التفاضل في التقوى، وأن جميع المخلوقات خالقها واحد، والإيمان أصل من الأصول، وأحد مقومات قيام المجتمع المؤمن، وإن سبب قوة الأمة الإسلامية يكمن في العودة إلى الكتاب والسنة.

وجه الشبه بين هذه الدراسة ودراستي:

تتشابه هذه الدراسة مع دراستي حيث تناولها لآيات سورة الحجرات بالدراسة والتحليل، والوقوف على كثير من القضايا العقدية والاجتماعية فيها.

وجه الخلاف بين هذه الدراسة ودراستي:

تختلف هذه الدراسة عن دراستي من حيث عدم تناول هذه الدراسة للمقاصد القرآنية في السورة، وربطها بالكليات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، ومن هنا كانت دراستي جديرة بالبحث والتنقيب.

٢- الدراسة الثانية: "سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي": عبد الحميد عمر الأمين،

رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٦هـ.

وقد تحدث الباحث من خلال بحثه عن أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة، وضرورة الإخلاص، والمنهج في نقل الأخبار، والانقياد والتسليم المطلق لله تعالى، وقطع كل سبيل يثير الضغائن، وأن

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الأخوة الإيمانية أعلى من أخوة النسب، ووضح أثر العقيدة الإسلامية في تقويم السلوك والأخلاق. وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي، من خلال جمع المادة العلمية والتنقيب في المصادر والمراجع المختلفة، ودراستها دراسة تحليلية.

واستخلص الباحث إلى أن سورة الحجرات تمثل المنهج القويم في التوجيه الإلهي للمجتمع المسلم المثالي، وأشار إلى أهم المبادئ والمعالم والأسس المستنبطة من السورة.

وجه الشبه بين هذه الدراسة ودراستي:

تشابه هذه الدراسة مع دراستي حيث بيّناها لكثير من الموضوعات التي تعرضت لها السورة من الحديث عن الاعتصام بالكتاب والسنة، وبيان أهمية الأخوة الإسلامية، وقبح إشاعة الأخبار دون تثبت، وغير ذلك من قضايا هامة تعرضت لها السورة.

وجه الخلاف بين هذه الدراسة ودراستي:

تختلف هذه الدراسة عن دراستي من حيث إن دراستي جاءت من خلال استقراء المقاصد الشرعية من آيات تلك السورة، وربط تلك المقاصد بالكليات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، ومن هنا كانت دراستي جديرة بالبحث والتنقيب.

٣- الدراسة الثالثة: "الدروس الدعوية في سورة الحجرات" للباحث: تركي بن عبد الله بن

حمود الحربي.

وقد تضمن موضوع دراسة الباحث بيان أن القرآن الكريم كله يعتبر دعوة إلى الله متمثلة في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأن سورة الحجرات اشتملت على منهج الدعوة إلى الله وأساليبها ووسائلها، والعديد من الدروس الهامة، والتي تعتبر نبراسًا يحدد للأمة جمعاء معالم الطريق السوي، والرغبة في استثمار هذه الدروس الدعوية في واقعنا المعاصر؛ لتكون زادًا للداعية.

واستخدم المنهج الاستنباطي، ومن أدوات جمع المادة العلمية استخدم أداة التنقيب في المصادر والمراجع المختلفة.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وقد خلص الباحث إلى ما تميز به القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية السابقة، وأن فلاح المجتمع المؤمن باتباع تعليمات رب العزة والجلال، وأن العمل بالكتاب والسنة هو شاهد الإيمان ودليله، مع أهمية التأدب مع الله ورسوله، وإبراز بعض المبادئ والقيم؛ كالصبر، ومراقبة الله تعالى في الكلام، والتثبت من الأخبار، والإصلاح بين الناس، والأخوة في الدين وأسباب تعميقها بين المؤمنين.

وجه الشبه بين هذه الدراسة ودراستي:

تتشابه هذه الدراسة مع دراستي حيث تناولها لموضوعات سورة الحجرات، والتي منها منهج الدعوة إلى الله، وأساليبها، ووسائلها، والعديد من الدروس الهامة، والتي تعتبر نبراسًا يحدد للأمة جمعاء معالم الطريق السوي.

وجه الخلاف بين هذه الدراسة ودراستي:

تختلف هذه الدراسة عن دراستي من حيث إن دراستي تركز البحث حول المقاصد القرآنية من خلال السورة الكريمة، وربط تلك المقاصد بالكليات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، ومن هنا كانت دراستي جديرة بالبحث والتنقيب.

٤- الدراسة الرابعة "الآداب الإسلامية كما تصورها سورة الحجرات" للباحثة: إيمان

سليمان أحمد:

وقد تناولت الباحثة في بحثها إبراز ما امتازت به سورة الحجرات من معانٍ وألفاظ، وبيان أهمية التزام الأدب مع الله ورسوله، وضرورة اليقظة ودعوة المسلمين إلى المحبة والألفة، والنهي عن مساوئ الأخلاق، وأن التقوى هي الأساس في التفاضل بين المسلمين، وصلاحية الإسلام لكل زمان.

وقد خلصت الباحثة إلى نتائج تتضمن بيان بعض جوانب ما يتميز به القرآن الكريم، وضرورة الالتزام به وبأحكام الله تعالى، واحترام الرسول محمد ﷺ حيًا وميتًا، والتثبت من الأخبار، وحث ولاية الأمور إلى الإصلاح بين المسلمين، وبيان أعظم درجات الجهاد والمتمثل في النفس والمال.

وجه الشبه بين هذه الدراسة ودراستي:

تتشابه هذه الدراسة مع دراستي حيث تناولها لأهمية التزام الأدب مع الله ورسوله، وضرورة

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

اليقظة ودعوة المسلمين إلى المحبة والألفة، والنهي عن مساوئ الأخلاق، وأن التقوى هي الأساس في التفاضل بين المسلمين، وصلاحية الإسلام لكل زمان.

وجه الخلاف بين هذه الدراسة ودراستي:

تختلف هذه الدراسة عن دراستي حيث الحديث حول المقاصد القرآنية من خلال السورة الكريمة، وربط تلك المقاصد بالكليات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، ومن هنا كانت دراستي جديرة بالبحث والتنقيب.

٥- الدراسة الخامسة "المنهج القرآني، أسسه وقواعده في التعامل... دراسة تدبرية تأملية من خلال سورة الحجرات"، للباحث: سعيد بن راشد الصوافي، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، عمان، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين، أما المقدمة فبين فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة.

وفي التمهيد تكلم الباحث عن بيان التنزيل، ومقتضيات المضمون، ثم جاء المبحث الأول ليتكلم فيه الباحث عن منهج التعامل مع الله ورسوله، وفي المبحث الثاني تكلم عن منهج التعامل الإنساني، ثم جاءت الخاتمة ليتكلم فيها الباحث عن أهم النتائج والتوصيات.

وجه الشبه بين هذه الدراسة ودراستي:

تتشابه هذه الدراسة مع دراستي حيث تناولها آيات سورة الحجرات بالدراسة والتحليل.

وجه الخلاف بين هذه الدراسة ودراستي:

تختلف هذه الدراسة عن دراستي حيث الحديث حول المقاصد القرآنية من خلال السورة الكريمة، وربط تلك المقاصد بالكليات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، ومن هنا كانت دراستي جديرة بالبحث والتنقيب.

٦- الدراسة السادسة: "التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات"، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الأول، (التربية في فلسطين وتغيرات العصر)، د. عبد السلام حمدان اللوح، كلية التربية،

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الجامعة الإسلامية، ٢٣ - ٢٤ - ٢٠٠٤م، وهذه الدراسة قائمة على منهج التفسير الموضوعي لسورة الحجرات، وقد تم تقسيم الموضوع على أساس مقاطع السورة، كل مقطع يحمل موضوعًا معينًا، وعلاقة هذه المقاطع ببعضها، وربط هذه المقاطع بالواقع المعاصر، وهذه المقاطع خمس: الأول: الأدب مع الله، الثاني: التثبيت من الأخبار وطاعة القادة، الثالث: فض الخلاف والإصلاح بين المؤمنين، الرابع: جملة آداب وأخلاق، الخامس: حقيقة الإيمان بالله تعالى، ثم خاتمة بين فيها أهم النتائج والتوصيات.

وجه الشبه بين هذه الدراسة ودراستي:

تتشابه هذه الدراسة مع دراستي؛ حيث تناولها لمقاطع سورة الحجرات بالدراسة والتحليل.

وجه الخلاف بين هذه الدراسة ودراستي:

تختلف هذه الدراسة عن دراستي؛ حيث الحديث حول المقاصد القرآنية من خلال السورة الكريمة، وربط تلك المقاصد بالكليات الخمس التي أوجب الشرع الحفاظ عليها، ومن هنا كانت دراستي جديدة بالبحث والتنقيب.

الخلاصة:

من خلال بحثي المتواضع في الكتب والبحوث السابقة لم أجد بحثًا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوعات سورة الحجرات من الناحية المقاصدية، وربطها بالكليات الشرعية الخمس، وهي: (حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعرض، والمال)، ومن الإضافات التي أقوم بها من خلال هذه الدراسة:

- ١- سأقوم بربط كل موضوع في السورة مع مقصده الشرعي ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.
- ٢- أوضح بعون الله - تعالى - كيف صان هذا الكتاب الكريم عقيدة المؤمن من الانحراف، أو إيمانه من النقصان.
- ٣- كيف حققت هذه الشريعة دماء المسلمين، وحصنت أعراضهم وحرمتهم وحفظت أنسابهم وأموالهم.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

٤- كيف أن هذا الكتاب العظيم لم يهمل أي جانب من حياة الفرد والجماعات إلا أولاه غاية الاهتمام، وأوضحه وبينه إجمالاً وتفصيلاً.

** ** *

الفصل الثالث: خطوات البحث

قسمت البحث إلى تمهيد، وباين، وخاتمة.

أما التمهيد: بين يدي السورة وفيه فصلان:

الفصل الأول: نبذة موجزة عن السورة، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بالسورة.

المبحث الثاني: عدد آيات السورة وأسمائها.

المبحث الثالث: ترتيب نزول السورة.

المبحث الرابع: أسباب نزول السورة.

الفصل الثاني: المناسبات في السورة وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية علم المناسبات والفائدة معرفة المناسبة.

المبحث الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد وسورة الفتح.

المبحث الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق".

المبحث الخامس: مناسبة أول السورة بآخرها.

المبحث السادس: المحور الأساس للسورة.

الباب الأول: منة الله على الأمة ببعثة النبي ﷺ، وفيه خمسة فصول.

الفصل الأول: فضل النبي ﷺ.

الفصل الثاني: حقوقه ﷺ.

الفصل الثالث: الأدب مع النبي ﷺ.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الفصل الرابع: حكم تقديم الرأي والاجتهاد على الكتاب والسنة.

الفصل الخامس: مواقف من أدب الصحابة رضوان الله عليهم.

الباب الثاني: الإسلام والإيمان ودورهما في ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي وفيه فصلان.

الفصل الأول: الإسلام والإيمان، وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: مراتب الإسلام.

المبحث الثاني: مراتب الإيمان.

المبحث الثالث: الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا.

المبحث الرابع: الإسلام أعم من الإيمان.

المبحث الخامس: بيان المؤمنون حقاً.

المبحث السادس: المنّ المحمود والمذموم.

المبحث السابع: سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء.

الفصل الثاني: عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المنهج الإسلامي في تلقي الأخبار.

المبحث الثاني: رفع الحرج والعنت عن الأمة.

المبحث الثالث: ذكر عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما.

المبحث الرابع: الإصلاح بين المتخاصمين.

المبحث الخامس: علاج مشكلة النزاع بين المسلمين والقضاء على أسباب الخلاف وترضية

المتخاصمين.

المبحث السادس: رابطة الإخاء والود بين المؤمنين.

المبحث السابع: حرمة المسلم.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

المبحث الثامن: مبدأ الإخاء الإنساني والمساواة بين الشعوب.

الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

بما أن البحث يتناول (المقاصد القرآنية في سورة الحجرات... دراسة تطبيقية موضوعية)، ناسب أن يكون المنهج الذي سأتبعه هو المنهج الاستقرائي، ثم المنهج الوصفي التحليلي.

أولاً- المنهج الاستقرائي:

هو انتقال الباحث من مرحلة استقراء الجزئيات والفرعيات وتحليلها لاستخراج الأصول والكليات والمبادئ العامة، والوصول إلى رؤية سليمة وأحكام صحيحة ونتائج صائبة، وبالتالي الوصول إلى مقترحات ونتائج وحلول مقبولة في نظر الباحث^(١).

ويستخدم هذا المنهج في:

استقراء المقاصد القرآنية التي تضمنتها سورة الحجرات، وذلك بهدف الوقوف على تلك المقاصد، وبالتالي التوصل لعلاج مناسب لكثير من القضايا الحياتية التي يتعرض له المسلم.

ثانياً- المنهج الوصفي التحليلي:

يعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ لتوضيح وتحليل آراء واتجاهات العلماء في المسألة محل الدراسة.

ويعتبر بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ حيث إن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية، ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم؛ أي ما هو كائن، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات، كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص

(١) ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب أبو سليمان ص ٦٤.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

النتائج منها^(١).

وأما الجانب الإجرائي:

أولاً: اتبعت في دراسة المقاصد القرآنية من خلال سورة الحجرات ما يلي:

- ١- تقسيم السورة إلى موضوعات، وذكر أسباب النزول، ثم تفسيرها تفسيراً موجزاً، مع ربطها بالكليات الخمس للوصول إلى مقصود الآيات.
- ٢- بيان علاقة المقاصد التي تضمنتها السورة بالكليات الخمس (الدين، النفس، العرض، المال، النسل) التي جاءت الشريعة الإسلامية لأجل صيانتها وحفظها.
- ٣- بيان الأبعاد التربوية والقيم الإيمانية والعقدية من خلال آيات سورة الحجرات.
- ٤- أحرر القضية تحريراً علمياً حسب كلام العلماء فيها.
- ٥- التعريف بالمصطلحات الواردة بالبحث من مظانها المختلفة.
- ٦- أترجم ترجمة مختصرة للأعلام الواردة أسماؤهم في صلب الرسالة، مقتصرةً على ذكر اسم الشهرة والاسم واللقب وكتاب من كتبه، وتاريخ الميلاد والوفاة إن وُجد، وإلا اقتصرْتُ على ما أسعفتني به الكتب.
- ٧- أعزو الآيات القرآنية إلى اسم السورة، ورقم الآية.
- ٨- أقوم بتخريج الأحاديث الواردة في البحث بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، أكتفي بتخريجه منهما، أو من أحدهما، دون غيرهما؛ للاتفاق على قبول حديثهما، وإن ورد الحديث في غيرهما من كتب الحديث الأخرى، نقلت خلاصة الحكم وبيان درجته.
- ٩- عند ذكر المرجع أشير إلى اسم الكتاب والجزء والصفحة، وبالنسبة لمعلومات الكتاب فيني أسجل بياناته كاملة «اسم المؤلف، والمحقق، وبيانات النشر إن وجدت»، وأضعها في فهرس المصادر

(١) تطور الفكر التربوي، لأحمد وسعد مرسي سعد موسى أحمد ص ٩٦، ط ١٠ عالم الكتب - القاهرة، ١٩٨٦م.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

والمراجع.

١٠- أضع فهرس فنية في آخر الرسالة، تسهّل مهمّة الاستفادة من البحث في الرسالة على النحو الآتي:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث.

ج- فهرس الآثار.

د- فهرس المصطلحات.

هـ- فهرس الأعلام.

و- فهرس المصادر والمراجع.

ز- فهرس الموضوعات.

** ** *

الفصل الرابع: الخاتمة

أسأل الله بمنه وكرمه أن يفتح عليّ فتوح العارفين بحكمته، وينشر عليّ من رحمته، ويلهمني الرشد والصواب، فلا فضل يوازي فضل الله على من سخره لكتابه، يتنقل بين مفرداته وروائع بيانه، وجليل أحكامه وشرائعه، ثم إنني أختم بحثي بتلخيص ما توصلت إليه من خلال السورة، وأرفق بنهايته قائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها، وفهرس للآيات القرآنية، ثم للأحاديث النبوية وقائمة المصادر والمراجع.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

** ** *

التمهيد: بين يدي السورة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: نبذة موجزة عن السورة، وفيه أربعة مباحث:

الملحح الأول: التعريف العام بالسورة.

الملحح الثاني: عدد آيات السورة وأسمائها.

الملحح الثالث: ترتيب نزول السورة.

الملحح الرابع: أسباب نزول السورة.

الفصل الثاني: المناسبات في السورة وفيه ستة مباحث:

الملحح الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحاً.

الملحح الثاني: أهمية علم المناسبات والفائدة معرفة المناسبة.

الملحح الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد وسورة الفتح.

الملحح الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق".

الملحح الخامس: مناسبة أول السورة بآخرها.

الملحح السادس: المحور الأساس للسورة.

الفصل الأول

نبذة موجزة عن السورة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بالسورة.

المبحث الثاني: عدد آيات السورة وأسمائها.

المبحث الثالث: ترتيب نزول السورة.

المبحث الرابع: أسباب نزول السورة.

المبحث الأول

التعريف العام بالسورة

سورة الحجرات سورة مدنية، وهي سورة جليلة، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة^(١) والشريعة^(٢)، ومن حقائق الوجود والإنسانية؛ حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقاً عالية وأماذاً بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهديب، ومبادئ التشريع والتوجيه؛ ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات^(٣).

وأول أغراض هذه السورة: تعليم المسلمين الأدب مع ربه سبحانه، وما يجب عليهم من الإيمان^(٤) والطاعة، ثم الأدب مع نبيه ﷺ في ندائه وخطابه وتعامله، ثم تنتقل السورة من الأدب الخاص إلى العام لتوطيد دعائم المجتمع؛ فتنهى عن نشر الإشاعات فضلاً عن سماعها، وتأمّر بالتثبت في نقل الأخبار، والنهي عن الهمز واللمز والغيبة، وحذرت من التجسس والطعن وسوء الظن، ورغبت في مكارم الأخلاق، ثم بيّنت مبدأ الأخوة الإسلامية والتساوي بين الأمم والشعوب، وأن لا فرق بين أبيض وأسود، ولا غني ولا فقير، وأن أساس التفاضل بالتقوى، ثم ختمت السورة بذكر حال الأعراب، وذكّرتهم تعالى بفضله عليهم أن هداهم للإسلام والإيمان.

ولا يخفى على ذي عقل ولُب أن كمال العبودية والإخلاص لله ﷻ إنما يكون بالتأدب بآداب الربوبية، والوفاء بعهود الألوهية، وذلك إنما يحصل بمراعاة حقوق من أرسله الله تعالى ليخرج الناس من

(١) الإيمان لغة: الإقرار والتصديق.

ينظر: أبو حنيفة، الفقه الأكبر ص: ٥٥.

واصطلاحاً: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

ينظر: شرح الطحاوية ص: ٣٣٢.

(٢) التشريع: مصدر شرع، والجمع تشريعات، والتشريع: سنّ القوانين، والشريعة أيضاً ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم؛ أي سن.

ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٦٣، الأزهري، تهذيب اللغة، ط ١/ ٢٧٠.

واصطلاحاً: ما سنّ الله من الدين وأمر به، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر.

ينظر: العبادي، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط ٢ ص: ١١٤.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ط ٢، ٣٦٤/٧، الشاربي، في ظلال القرآن، ط ١٧، ٣٣٣٥/٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ط ٢، ٣٦٤/٧، الشاربي، في ظلال القرآن، ط ١٧، ٣٣٣٥/٦.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، فكان حقاً على كل عبد أن يتأدب معه ﷺ بالأدب الذي ربّى الله تعالى عليه هذه الأمة، لما له من الفضل والمنة بعد فضل الله ﷻ في هداية الخلق إلى صراط الله المستقيم، وإلى دار السعد والفلاح^(١).

فهذه السورة العظيمة تصنع مجتمعاً فاضلاً كريماً، ذا أدب مع الله، وأدب مع رسوله، وأدب مع نفسه، وأدب مع غيره، أدب في هواجس^(٢) ضميره، وفي حركات جوارحه. وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه، وله نظمه التي تكفل صيانتها، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب، وتنبثق منه، يلتقي فيه الأفراد بالدولة، والدولة بالأفراد، وتتلاقى واجباتهما ونشاطهما في تعاون واتساق، ويتمثل هذا الأدب في إدراك حدود العبد أمام الرب، والرسول الذي يبلغ عن الرب؛ فلا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمر أو نهي، ولا يقترح عليه في قضاء أو حكم، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأياً مع خالقه، تقوى منه وخشية، وحياءً منه وأدباً^(٣).

ومعظم مقصود السورة في محافظة أمر الحق - تعالى -، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدة في الأمور، واجتناب التهور، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر من التجسس والغيبة^(٤)، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، وترك المنة على الله بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله - تعالى - في قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٨).^(٥)

(١) انظر: النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ط ١، ٢/٣٤٠.

(٢) هجس الأمر بالقلب هجساً، وقع وخطر فهو هاجس.

ينظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٦٣٤، كتاب الهاء، مادة ه ج س.

(٣) الشاربي، في ظلال القرآن، ط ١٧، ٦/٣٣٣٥، ٣٣٣٦.

(٤) وهي أن يذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان.

ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، د-ط ٣/٣٩٩.

(٥) المخزومي، تفسير مجاهد، ط ١، ١/٨٥١.

المبحث الثاني

عدد آيات السورة وأسمائها

عدد آيات السورة الكريمة: ثماني عشرة آية، وكلماتها: ثلاثمائة وثلاثة وأربعون كلمة^(١).

يقول الزركشي^(٢) رحمه الله في مناسبة تسمية سور القرآن الكريم: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سُميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"^(٣).

وسُميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير بسورة الحجرات، ووجه تسميتها: أنه ذكر فيها لفظ "الحجرات"، ونزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله ﷺ من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة، وهي مدنية باتفاق أهل التأويل، وعدّ جميع العادين أيها ثمان عشرة آية^(٤).

وتسمى سورة الحجرات أيضاً: سورة «الأخلاق والآداب»؛ فقد أرشدت إلى مكارم الأخلاق، وفضائل الأعمال، وجاء فيها النداء بوصف الإيمان خمس مرات، وفي كل مرة إرشاد إلى مكرمة من المكارم، وفضيلة من الفضائل، وهذه التسمية اجتهادية^(٥).

*** *** ***

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط ١، ١٠٩/٦٩.

(٢) محمد بن عبد الله بن مجاهد الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، ولد في سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وألف تصانيف كثيرة في عدّة فنون، وهو عالم في الحديث والتفسير وجميع العلوم، ومن مصنفاته شرح البخاري، والتنقيح على البخاري، وشرح التنبيه، والبرهان في علوم القرآن، وتخرّج أحاديث الرافعي، وتفسير القرآن العظيم وصل إلى سورة مريم، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين وسبعمائة، انظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين للأدنه وي، أحمد بن محمد، ط ١، ١٠٢/٣٠٢.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط ١، ١٠١/٢٧٠.

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط ١، ١٠٩/٦٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، د. ط، ٢٦/٢١٣.

(٥) الصابوني، صفوة التفاسير، ط ١، ٣/٢٢١.

المبحث الثالث

ترتيب نزول السورة

نزلت سورة الحجرات بعد سورة المجادلة، ونزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون، ونزلت سورة المنافقون في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة، فيكون نزول سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك^(١)، وكان نزولها بالمدينة^(٢).

وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، وقيل: نزلت بعد سورة المجادلة^(٣) وقبل سورة التحريم، وكان نزولها سنة تسع^(٤).

** ** *

(١) شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ط ١، ٢٢٥/٨.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، د. ط، ٥٤٦ / ٧.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣، ٣٤٩/٤.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، د. ط، ٢١٣/٢٦.

المبحث الرابع أسباب نزول السورة

وردت عدة روايات في سبب نزول مطلع سورة الحجرات؛ فقيل في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ {سورة الحجرات، الآية: ١}:

"ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ أَنْزَلَ فِي كَذَا لَوَضَعَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَكَّرَهُ اللَّهُ ﷻ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ فِيهِ"^(١).

وقال بعضهم: إن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - اختلفا في شيء بحضرة رسول الله - ﷺ فارتفعت أصواتهما، فنزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ {سورة الحجرات، الآية: ١}، إلى آخر ما ذكر من قوله ﷻ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ {سورة الحجرات، الآية: ٢}.

وذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ {سورة الحجرات، الآية: ١}؛ أي: لا تدبجوا قبل ذبح النبي يوم النحر، وذلك أن ناسًا من المسلمين دبجوا قبل صلاة النبي ﷺ يوم النحر^(٢).

الترجيح:

أرى والله أعلم أن القول الراجح هو ما ذكره أكثر المفسرين من أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا، قال: فكره الله ﷻ ذلك، فنزل مطلع السورة.

*** *** ***

(١) انظر: الواحدي، أسباب النزول ص: ٤٠١، السيوطي، لباب النقول ص: ١٧٨، والطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ١، ٢١/٣٣٦.

(٢) انظر: الواحدي، أسباب النزول ترغول ص: ٤٠١، السيوطي، لباب النقول ص: ١٧٨، الماتريدي، تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة، ط ١، ٩/٣٢٢.

الفصل الثاني المناسبات في السورة

وفيه ستة مباحث:

الملحّث الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحاً.

الملحّث الثاني: أهمية علم المناسبات والفائدة معرفة المناسبة.

الملحّث الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد وسورة الفتح.

الملحّث الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق".

الملحّث الخامس: مناسبة أول السورة بآخرها.

الملحّث السادس: المحور الأساس للسورة.

المبحث الأول معنى المناسبة لغة واصطلاحًا

المناسبة في اللغة:

المناسبة: المشاكلة^(١)، والملاءمة والموافقة^(٢).

ويعبر عنها بالمصلحة، وبالاستدلال، وبرعاية المقاصد^(٣).

المناسبة اصطلاحًا:

عرفت المناسبة اصطلاحًا بعدة تعريفات، منها:

أ- تعيين العلة^(٤) بمجرد إبداء المناسبة، مع السلامة عن القوادح^(٥)، لا بنص ولا غيره^(٦).

والمناسب: إما مؤثر، أو غير مؤثر، وغير المؤثر: إما ملائم، أو غير ملائم. وغير الملائم: إما غريب، أو مرسل، أو ملغى.

والمقصود بالمناسب في التعريف: المناسب الملائم؛ أي تعين العلة من حيث أن الشارع عينها في

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط ٨، ١/١٣٧.

(٢) قلنجي، قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ط ٢، ١/٤٦١.

(٣) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط ١، ٢/١٢٧.

(٤) العلة لغة: المرض. وحدث يشغل صاحبه عن وجهه كأن تلك العلة صارت شغلًا ثانيًا منعه عن شغله الأول، واعتل أي مرض فهو عليل، واعتل عليه بعلته. واعتله اعتاقه عن أمر واعتله تجنى عليه.

ينظر: الرازي، مختار الصحاح ص: ٢١٧.

واصطلاحًا: المعنى الجالب للحكم.

ينظر: ابن الفراء، العدة في أصول الفقه، ط ٢، ١/١٧٥.

(٥) القوادح لغة: قذح فلان في فلان قذحًا، من باب نفع: عابه وتنقصه، ومنه قذح في نسبه وعدالته إذا عيبه، وذكر ما يؤثر في انقطاع النسب ورد الشهادة.

ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٤٩١.

واصطلاحًا: ما يقذح في الدليل بجملته سواء العلة وغيرها.

ينظر: المرادوي، التحبير شرح التحرير ط ١، ٧/٣٥٤٤.

(٦) الشوكاني، المرجع السابق، ط ١، ٢/١٢٧.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

عين الحكم، بترتيب الحكم على وفق الوصف، لا بنص ولا إجماع، وهذا يسمى مناسبًا ملائمًا؛ لكونه موافقًا لما اعتبره الشارع^(١).

ب- ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني^(٢).

** ** **

(١) الشوكاني، المرجع السابق ٢/ ١٢٧.

(٢) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، د. ط، ٣/ ٣٦٩.

المبحث الثاني

أهمية علم المناسبات وفائدة معرفة المناسبة

لعلم المناسبات أهمية عظيمة، ومن ذلك:

١ - دقة هذا العلم من حيث الوقوف على ترتيب السور والآيات، والربط بينهما:

قلّ اعتناء المفسرين بعلم المناسبة لدقته وعظيم خطره، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين^(١) رحمه الله، وقال في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٢)

٢ - علم المناسبة من أحسن العلوم وأعلاها لارتباطه بكتاب الله تعالى:

قال العز بن عبد السلام^(٣) رحمه الله: "المناسبة علم حسن؛ لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط بأوله بآخره"^(٤).

٣ - معرفة علل الترتيب، وهو سر البلاغة القرآنية:

قال البقاعي^(٥) رحمه الله فقال: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"^(٦).

٤ - بيان بجملة نظم القرآن الكريم وإعجازه:

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة، بالري. وتوفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ست وستمائة بمدينة هراة. وفيات الأعيان لابن خلكان، ط ١، ٤/٢٥١-٢٥٤.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط ١، ١٠/١١٠.

(٣) سبق ترجمته ص ٧.

(٤) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، د. ط، ٣/٣٧٠.

(٥) سبق ترجمته ص ١١.

(٦) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، د. ط، ١/٥٠.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

قال الزركشي^(١) رحمه الله: "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها، لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، فإنه كتاب ذا نظم باهر، بيّنة آياته، واضحة أحكامه، ولا ريب فهو كما قال **وَعَلَىٰ رُكْنَيْهَا أُوحِيَ إِلَيْكَ آيَاتُهَا وَمَن لَّا يَرْجُ الْآخِرَةَ لَآتِيَ السَّيْئَٰتَ أُولَٰئِكَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** (سورة هود، الآية: ١)"^(٢).

*** *** ***

(١) سبق ترجمته ص ٣٦.

(٢) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، د. ط، ٣/٣٦٩.

المبحث الثالث

مناسبة السورة لما قبلها "سورة محمد، وسورة الفتح"

يقول الشيخ البقاعي^(١) رحمه الله: "لما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي ﷺ في ابتداء سورة محمد وسمى السورة به، وملاها بتعظيمه، وختم سورة الفتح باسمه ومدح أصحابه لأجله؛ قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُّجْتَدِئًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ} (سورة الفتح، الآية: ٢٩)، ثم افتتح سبحانه سورة الحجرات باشتراط الأدب معه في القول والفعل؛ للعدّ من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي الأخلاق، وهي إمّا مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله ﷺ أو مع غيرهما، وإمّا أن يكون داخلًا مع المؤمنين في رتبة الطاعة أو خارجًا عنها وهو الفاسق، والداخل في طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إمّا أن يكون حاضرًا عندهم أو غائبًا عنهم"^(٢).

وحين بشر الله تعالى نبيه ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - في سورة الفتح بالنصر والفتح والتمكين، ونيل ثمرة الصبر والجهاد في سبيل الله لرفع راية الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل؛ تلا عليهم هذه السورة التي كانت أشبه بتعقيب على سورة الفتح، وعلى ما وقع فيها من أحداث، وخاصة في صلح الحديبية، فكان من الأهمية بمكان التذكير والتنبيه على عظمه مشرع هذا الدين، والتأكيد على أن قول الله ﷻ وقول نبيه وأمرهما مقدم على كل أحد، ولا سلطان ولا أمر إلا أمره تعالى وأمر رسوله ﷺ، ولإزالة آثار ما قد يعلق في النفوس جرّاء المنازعات والاقتتال، نوه سبحانه وتعالى على حرمة دماء المسلمين وأعراضهم؛ فقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (سورة الحجرات، الآية: ١٠).

يقول صاحب «التفسير المنير»: تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي سورة الفتح من نواح

ثلاث، هي:

- ١- في السورة المتقدمة حكم قتال الكفار، وفي هذه حكم قتال البغاة (أهل الثورة الداخلية).
- ٢- ختمت السابقة (سورة الفتح) بقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}، وافتتحت سورة الحجرات

(١) سبق ترجمته ص ١١.

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د. ط، ١٨/٣٥٠-٣٥١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

بقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا}؛ تذكيراً لهم بجرمتهم عند الله عندما وصفهم بكونهم أشداء رحماء، مما يقتضي محافظتهم على هذه الدرجة بطاعة الله تعالى والرسول ﷺ.

٣- في كلتا السورتين تشريف وتكريم لرسول الله ﷺ، خصوصاً في مطلع كل منهما، والتشريف يقتضي من المؤمنين الرضا بما رضي به الرسول ﷺ من صلح الحديبية^(١)، وألا يتركوا شيئاً من احترامه قولاً وفعلاً^(٢).

*** *** ***

(١) الحَدَيْبِيَّةُ: بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء اختلَفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقيل: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

ينظر: الحموي، معجم البلدان، ط ٢ / ٢٢٩.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ٢، ٢٦ / ٢١٢.

المبحث الرابع

مناسبة السورة لما بعدها "سورة ق"

لما ختم سبحانه الحجرات بإحاطة العلم: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٩) افتتح سورة ق بقوله: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} (سورة ق، الآية: ١)؛ إشارةً إلى أنه هو سبحانه وحده المحيط علماً وقدرة، بما له من العلو والشدة والقوة القيومية^(١) والقهر ونافذ القضاء والفتح لما أراد من المغلقات، بما أشارت إليه القاف بصفاتها، وأظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه مسماها من المخارج الثلاث: الحلق واللسان والشفاه^(٢).

ولما كانت سورة الحجرات قد انطوت على جملة من الألفاظ التي خص بها تعالى عباده المؤمنين؛ كذكره تعالى أحوثهم، وأمرهم بالثبوت عند غائلة معتد فاسق {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...} الآية، (سورة الحجرات، الآية: ٦)، وأمرهم بغض الأصوات عند نبههم، وأن لا يقدموا بين يديه، وأن لا يعاملوه في الجهر بالقول كمعاملة بعضهم بعضاً، وأمرهم باجتنباب كثير من الظن، ونهيهم عن التجسس والغيبة، وأمرهم بالتواضع في قوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (سورة الحجرات، الآية: ١٣)، وأخبرهم تعالى أن استجابتهم، وامتنال هذه الأوامر ليست بحولهم ولكن بفضلهم وإنعامه؛ فقال: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ...} (سورة الحجرات، جزء من الآية: ٧).

ثم أعقب تعالى بقوله: {يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...} (سورة الحجرات، جزء من الآية: ١٧)؛ ليبين أن ذلك كله بيده ومن عنده؛ أراهم سبحانه حال من قضى عليه الكفر ولم يجب إليه الإيمان ولا زينته في قلبه، بل جعله في طرفٍ من حال من أمر ونهي في سورة الحجرات، مع المساواة في الخلق وتمائل الذوات، فقال تعالى: {بَلْ يَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ...} (سورة ق، الآية: ٣)، ثم ذكر سبحانه وضوح الأدلة فقال

(١) القيومية: القيام هو فيقول من قام يقوم اللذي بمعنى دائم، لا القيام المَعْرُوف.

ينظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، د-ط ص: ٥٦.

(٢) البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط ١، ٣٩٨/١٨.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

تعالى: { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ . . . } (سورة ق، الآية: ٦)، ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم؛ فقال تعالى: { كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ } (سورة ق، الآية: ١٢)؛ ليتذكر مجموع هذا من قَدَمِ ذِكْرِ حاله وأمره ونهيهِ في سورة الحجرات، وليتأدب المؤمن بآداب الله، ويعلم أن ما أصابه من الخير فإنما هو من فضل ربه وإحسانه، ثم التحمت الآي إلى قوله تعالى في خاتمة السورة: { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ } (سورة ق، الآية: ٤٥) ^(١)؛ حيث ختمت بالتذكير بإحاطة علم الله وَعَجَلِكَ بِمَكْنُونِ الصَّدُورِ؛ فهو سبحانه عليم بمن آمن، خبير بمن نافق وأظهر ما لم يُبطن، فلا أحد أعلم من الله بخلقهِ سبحانه وتعالى ^(٢).

*** *** ***

(١) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، د. ط، ١/٣١٣-٣١٤، الطبري، جامع البيان ط ١ / ٢١ / ٣٩٦.

(٢) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط ١، ١٨/٣٩٨.

المبحث الخامس

مناسبة أول السورة لآخرها

ابتدأت السورة الكريمة بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين تجاه شريعته وأوامر رسوله ﷺ، وتحقيق الإيمان الصادق النابع من القلب إجلالاً وحُبًّا وتعظيمًا وإقرارًا بالوحدانية لله تعالى، وبالنبوة لمحمد ﷺ، وختم الآية بقوله: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ١)، فهو وحده جل وعلا مطلع على مكنون القلب، عليم بما يخفيه العبد من الإيمان أو ضده، وختمت السورة المباركة بذكر حقيقة الإيمان، وأنه إيمان قلب وليس قول لسان، وأن الفضل والمنة من الله ﷻ بعبثته نبيه محمد ﷺ؛ تلك النعمة التي لا يوازيها شيء من النعم؛ نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، فضلًا من الله ومنة، وختمت أيضًا بالتذكير بعلم الله تعالى وإحاطته بكل شيء؛ إنه تعالى بصير بهم مطلع عليهم، فكان مطلع السورة في ذكر علمه تعالى وسمعه، وختمت السورة بذكر علمه تعالى وبصره، وفي ذلك تقرير لصفاته تعالى، وإثبات السمع والبصر له ﷻ، بلا تشبيه ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تعطيل.

*** ** **

المبحث السادس

المحور الأساس للسورة

سورة الحجرات هي سورة تتحدث عن أدب العلاقات، والتعامل مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والناس عامة، وكأن الهدف من هذه الآداب والتوجيهات أنكم يا من سينزل عليكم الفتح تأدبوا بالعلاقات مع الرسول ﷺ. هذا بالإضافة إلى الصفات التي أوردتها الله تعالى في سورة الفتح، فكأنما أراد الله تعالى أن يجمع لهم صفات العبادة والعمل مع الصفات الخلقية والذوقية؛ حتى يكونوا أهلاً للفتح من عند الله تعالى، وقد تضمنت السورة العديد من الآداب، نستعرضها فيما يلي:

١- الأدب مع الشرع: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (سورة

الحجرات، الآية: ١).

٢- الأدب مع النبي ﷺ: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ

كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ٢، ٣).

٣- الأدب في تلقي الأخبار: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (سورة الحجرات، الآية: ٦).

٤- الأدب في الإصلاح حال وقوع خلاف: {وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن

بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الْآخَرَىٰ فَتَقَبَّلَا الَّذِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (سورة الحجرات، الآية: ٩).

٥- أدب الأخوة بين المؤمنين: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَأَقْبُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (سورة

الحجرات، الآية: ١٠).

٦- الآداب الاجتماعية بين المسلمين: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ

وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِسِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ { (سورة الحجرات، الآية: ١١)،

١٢.

٧- أدب التعامل مع الناس عمومًا: {يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ { (سورة الحجرات، الآية: ١٣).

٨- أدب التعامل مع الإيمان ومع الله تعالى: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ

عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمْهُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ { (سورة الحجرات، الآية: ١٧).

وقد تأخر ذكر أدب التعامل مع الناس في السورة، وهذا ليرشدنا أنه قبل أن نتعامل مع الناس بأدب، علينا أن نحقق ونكتسب كل الآداب السابقة في التعامل مع رسولنا، وفيما بيننا؛ حتى نتميز بأخلاقنا وآدابنا، وحتى نترك عند الناس من غير المسلمين الانطباع الحسن؛ لأن الخلق الحسن قد يفتح من البلاد وقلوب العباد ما لا تفتحه الحروب والمعارك، وكم من الناس دخلوا في الإسلام بأخلاق المسلمين الفاتحين لا بالسيف، ولنا في رسول الله ﷺ وأصحابه أسوة حسنة.

** ** *

الباب الأول

منة الله على الأمة ببعثة النبي ﷺ

وفيه خمسة فصول.

الفصل الأول: فضل النبي ﷺ.

الفصل الثاني: حقوقه ﷺ.

الفصل الثالث: الأدب مع النبي ﷺ.

الفصل الرابع: حكم تقديم الرأي والاجتهاد على الكتاب والسنة.

الفصل الخامس: مواقف من أدب الصحابة رضوان الله عليهم.

الفصل الأول

فضل النبي ﷺ

خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بفضائل لا تُحصى، تُنبئنا برفعته ﷺ وعلو قدره وسمو مقامه عند ربه، وتمييزه على غيره من بني البشر، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين، ولا عجب في ذلك؛ فهو سيد المرسلين وخاتم النبيين، وصفوة الله من خلقه، أَلَّفَ اللهُ تعالى به القلوب بعد الشتات، وأضاءت به الظلمات، ورفع تعالى ذكره في الأرض والسموات، شرفه تعالى بحمل رسالته، واختاره لمقام شفاعته، بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة للأولين والآخرين، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧). أنزل عليه كتابه الكريم، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (سورة آل عمران، الآية: ١١٠)، أمرهم أن يأتروا بينهم بالمعروف وينتهوا عن المنكر، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق، وجعلهم أمة وسطاً {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (سورة البقرة، الآية: ١٤٣)، فهم وسط في العبادة والتوحيد، وفي الإيمان برسوله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام، أخرجهم به من الظلمات إلى النور فحصل لهم ببركة رسالته خيراً الدنيا والآخرة؛ ففرض الله تعالى لذلك علينا محبته، وأمرنا بطاعته، وقرن اسمه تعالى مع اسمه، ورغبنا بنصرتة وتوقيره، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} ﴿٨﴾ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (سورة الفتح، الآية: ٨، ٩).

روي عن النبي ﷺ قال: "أعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحد قبلي: كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، وُبُعِثت إلى كل أحمر وأسود، وأُحِلَّت لي لغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً؛ فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونُصِرَت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأُعطيَت الشفاعة" ^(١).

ناداه الله ﷻ بصفة النبوة في كتابه فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (سورة

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التيمم وقول الله تعالى: {قَلَمَ يَحصُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} [المائدة:

٦]، رقم الحديث ٣٣٥، ٧٤/١. ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم الحديث ٥٢١، ٣٧٠/١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الأحزاب، الآية: ٤٤)، وبصفة الرسالة فقال: {تَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} (سورة المائدة، الآية: ٦٧). وبحال من أحوله فقال جل شأنه: {تَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ} (سورة المدثر، الآية: ١). ولم يناده بموضع واحد بـ (يا محمد)، في حين نادى سبحانه جميع الأنبياء والرسل بأسمائهم فقال تعالى في ذكر آدم عليه السلام: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} (سورة البقرة، الآية: ٣٥).

وفي ذكر زكريا عليه السلام: {يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نَبِّشِرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} (سورة مريم، الآية: ٧).

وفي ذكر يحيى عليه السلام: {نِيحِي حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيُّنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} (سورة مريم، الآية: ١٢).

وفي ذكر عيسى عليه السلام: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} (سورة آل عمران، الآية: ٥٥).

وفي ذكر موسى عليه السلام: {يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (سورة النمل، الآية: ٩).

ولا يدل ذلك إلا على فضله عليه السلام ومكانته عند ربه عز وجل، فلو أن النبي عليه السلام بُعث في الأنبياء لم يسعهم إلا اتباعه عليه السلام، وفيما ذُكر من قصة الإسراء والمعراج أنه عليه السلام صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا بِصَلَاةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام (١).

اختاره الله تعالى خليلاً، ولم تثبت هذه الفضيلة سوى للنبي عليه السلام وإبراهيم عليه السلام، فقد روي عن رسول الله عليه السلام أنه قال: "ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله" (٢).

ومن فضائله: أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال تعالى: {الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (سورة الأحزاب، الآية: ٦)، وقد "ذكر سبحانه لرسوله مزية عظيمة، وخصوصية جليلة لا يشاركه فيها أحد من العباد فقال: {الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} أي: هو أحق بهم في كل أمور الدين والدنيا، وأولى بهم من أنفسهم فضلاً عن أن يكون أولى بهم من غيرهم، فيجب عليهم أن يؤثروه بما أراد من أموالهم،

(١) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي- الخواطر، د. ط، ٥/ ١١٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم/ باب فضائل أبي بكر عليه السلام، رقم الحديث ٢٣٨٣، ٤/

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وإن كانوا محتاجين إليها، ويجب عليهم أن يجوه زيادة على حبهم أنفسهم، ويجب عليهم أن يقدموا حكمه عليهم على حكمهم لأنفسهم. وبالجملة: فإذا دعاهم النبي ﷺ لشيء، ودعتهم أنفسهم إلى غيره؛ وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطهم^(١).

فالتطاعة قاعدة من قواعد الحكم الإسلامي، وإحدى دعائمه المتينة، وهي من الضروريات المؤازرة للإمام للقيام بالمهمة التي كلفه الله تعالى القيام بها، ومن ضروريات قيام الدولة الإسلامية، وتحقيق التمكين لها على الأمم الباغية؛ فكانت طاعته ﷺ من ضروريات قيام الدين الإسلامي الذي لم يضع حكمًا ولا أمرًا ولا نهيًا إلا كان في صالح الأمة جماعات وأفرادًا.

فإذا تأملنا حال بعض الدول الإسلامية حين خرجت الشعوب ضد حكامها وإمامها، وما حل بهم من النكبة والتشرد، لكن لا نقول سوى: أنه أمر الله، وقدّر قد أمضاه، وفي ذلك حكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

فمذهب أهل السنة والجماعة هو ترك الخروج على الحاكم الظالم، وأنه لا يجوز ذلك إلا إذا بدا منه كفر بواح؛ ففي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت^(٢) قال: "دعانا النبي ﷺ، فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويُسرننا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان"^(٣).

وعن ابن عباس^(٤) عن النبي ﷺ، قال: "من كره من أميره شيئًا فليصبر؛ فإنه من خرج من

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، ٣٠١/٤.

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس بن الخزرج، ويكنى أبا الوليد، شهد عبادة العقبه مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الشام حين غزاها المسلمون فلم يزل بالشام إلى أن توفي سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - د. ط، ٢٧١/٧.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ: "سترون بعدي أمورًا تنكرونها"، رقم الحديث ٧٠٥٥، ٧٠٥٦، ٤٧/٩. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء، رقم الحديث ١٧٠٩، ١٤٧٠/٣.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، كنيته أبو العباس، توفي النبي ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، قال له النبي ﷺ: "اللهم علمه الحكمة"، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وقيل: سنة سبعين. كان يسمى الخبير والبحر لكثرة علمه، وحدة فهمه، وحبير الأمة وفقهها، ومدعو له بلسان الرسالة، فقه في الدين، وعلم التأويل، ترجمان القرآن، انظر: ابن حبان، الثقات لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد =

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية" (١).

وما أمر ﷺ بذلك إلا حفاظًا على ضرورة من ضروريات إقامة الدين، فبدون ذلك يحصل من الفساد ما الله به عليم، نسأل الله السلامة والعفو والعافية.

قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنقُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية:

١).

لما بشر الله تعالى النبي ﷺ وأصحابه بالنصر إذا جاهدوا، ثم فتح الله عليهم واستتب الأمر، وجب أن توضع القواعد التي تكون بين النبي ﷺ وأصحابه، وكيف يعاملونه؟ وكيف يعامل بعضهم بعضًا؛ فطلب إليهم ألا يقطعوا أمرًا دون أن يحكم الله ورسوله به (٢).

وقيل: لا تفتتوا (٣) على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله ﷻ على لسانه (٤).

قيل في قوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} : "إن ناسًا كانوا يقولون: لولا أنزل في كذا، لولا أنزل في كذا. وقال الحسن: هم قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ؛ فأمرهم النبي فإعادوا الذبح" (٥).

وقيل: أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه؛ أي: قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ؛ إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: "كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟" قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: "فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟" قال: أجتهد رأيي، لا آلو. قال: فضرب رسول الله ﷺ صدره، ثم قال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي

= التميمي، ط ١، ٣/٢٠٧ وانظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة، ط ١، ٣/١٦٩٩.

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ: "سترون بعدي أمورًا تنكرونها"، رقم الحديث ٧٠٥٣، ٩/٤٥. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمامة/ باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعوة إلى الكفر، رقم الحديث ١٨٤٩، ٣/١٤٧٨.

(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ط ١، ٢٦/١٢٠.

(٣) افتتأت عليّ الباطل: اختلفه. انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/١٥٦.

(٤) المخزومي، تفسير مجاهد، ط ١، ١/٦١٠.

(٥) الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، ط ١، ٣/٣١٨.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رسول الله" (١).

فالغرض منه أنه أحرر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.

روي عن ابن عباس (٢): {لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}؛ لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

وقال مجاهد (٣): "لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء، حتى يقضي الله على لسانه".

وقيل: أي لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم. و {لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} بقول ولا فعل. (٤)

وقيل: نزلت في ناس كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لوضع كذا. فكره الله ذلك وقدم فيه.

قيل: يعني في القتال وشرائع الدين؛ لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله. أو لا تستبقوا رسول الله بقول، ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم (٥).

فأمره سبحانه بوجوب طاعة النبي ﷺ، ونهييه تعالى عن تقديم قول أي أحد عليه؛ إنما هو من ضروريات حفظ الدين القويم من الضعف والتفكك؛ ليكونوا جميعاً على كلمة واحدة، وتحت راية واحدة، لا يفرقهم عن أمر النبي ونهييه هو، ولا قول باغ.

*** ** **

(١) رواه أحمد في مسنده. انظر: الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، باب حديث معاذ بن جبل، ط ١، ٣٦/٣٣٣. وقال: إسناده ضعيف لإيهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو.

(٢) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنين أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون. انظر: العسقلاني، تقريب التهذيب، ط ١، ٥٢٠/١.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، ٧/٣٦٧.

(٥) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط ١، ٩/٧٠.

الفصل الثاني

حقوقه ﷺ من خلال سورة الحجرات

قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}:

حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة جداً، ولا تعادل مقدار فضله وحرصه على هداية جميع الخلق إلى الله تعالى ونجاتهم من النار، وقد قال الله ﷻ في كتابه واصفاً حال النبي ﷺ في شدة الحرص على هداية الناس: { فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَيَّ ءَاثِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } (سورة الكهف، الآية: ٦)؛ فوجب بذلك علينا واجبات، أذكر منها ما يلي:

١- الإيمان به ﷺ، وأنه رسول الله حقاً، أرسله الله تعالى إلى جميع الثقيلين بشيراً ونذيراً، قال تعالى: {فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَبِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ} (سورة التغابن، الآية: ٨)، ويتضمن الإيمان بكل ما جاء به من عند الله، وما أنزل عليه من الوحي، والإيمان بما ورد من أقواله وأفعاله.

٢- طاعته ﷺ؛ فإذا وجب الإيمان وجبت الطاعة، قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، وقال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} (سورة الأنفال، الآية: ٢٠).

٣- التآسي بسنته والافتداء بهديه ﷺ؛ قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ءَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة آل عمران، الآية: ٣١)، وقال ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني" (١). فيجب السير على نهجه والحذر من الابتداع أو المخالفة لهديه ﷺ.

٤- محبته ﷺ، وليس كأبي محبه، وإنما محبة تفوق محبة النفس والمال والأهل والولد، وما في الدنيا جميعاً، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ

(١) حسنه الألباني، انظر حديث رقم ٤٩٤٦ في صحيح الجامع، السيوطي، الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث ٩٠٧٧، باب ٩٠٧٧، ١/٩٠٧٧.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ { (سورة التوبة، الآية: ٢٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" ^(١).

ومن أحب النبي ﷺ رافقه في جنته؛ كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ عندما سأله رجل عن الساعة فقال: "متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت» ^(٢).

ولاشك أن من وفقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاق في رضى الله ﻋﻠﻴﻪ ورسوله ﷺ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضى به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ.

فالقاعدة أن من أحب أطاع وبذل في سبيل ما يجب كل ما يملك، وهل بعد حب الله ورسوله من حب يحمل صاحبه على الطاعة والتسليم والانقياد عن رضا وشوق إلى محبوبه وما وعد به في الدنيا من الطمأنينة والسكينة والفضل العميم وفي الآخرة من الرضوان والجنة؟!!

٥- كثرة الصلاة والسلام عليه، وقد ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه «جلاء الأفهام» مواطن الصلاة على النبي ﷺ التي يتأكد طلبها إما وجوباً وإما استحباباً مؤكداً فقال:

أهمها وأكدها في الصلاة في آخر التشهد، وفي التشهد الأول، والقنوت، وفي صلاة الجنازة، وفي خطبة الجمعة، وبعد إجابة المؤذن وعند الإقامة، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وعلى الصفا والمروة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وعند ذكر اسمه، وعند الوقوف على قبره، وإذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة، وإذا قام الرجل من نوم الليل، وعقب ختم القرآن، ويوم الجمعة

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان/ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ط ١، ١٢/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب/ باب علامة حب الله ﻋﻠﻴﻪ، ط ١، رقم الحديث ٦١٧١، ٤٠/٨. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ باب المرء مع من أحب، رقم الحديث ٢٦٣٩، د. ط، ٤/٢٠٣٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وليلتها، وعند الهم والشدائد، وطلب المغفرة^(١).

٦- وجوب التحاكم إليه، والرضا بحكمه ﷺ: فحكمه من حكم الله تعالى، قال الله تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (سورة النساء، الآية: ٥٩).

٧- إنزاله مكانته ﷺ؛ فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، صاحب الشفاعة يوم القيامة، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرراً ولا نفعاً، ولا يعلم من الغيب إلا بقدر ما أطلعه الله تعالى عليه، كما قال تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا! (سورة الجن، الآية: ٢١، ٢٢).

*** *** ***

(١) انظر: ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ط ٢، ١/ ٣٢٧-٤١٠.

الفصل الثالث

الأدب مع النبي ﷺ من خلال سورة الحجرات

تضمنت السورة الكريمة جملة من الآداب الواجبة تجاهه ﷺ، قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.
 ثبت في الصحيح عن ابن عمر^(١) قال: "كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس^(٢) أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع عنه: لا أحفظ اسمه -، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردت ذلك. فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأنزل الله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} (سورة الحجرات، الآية: ٢). قال ابن الزبير^(٣): "فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ [بعد هذه الآية] حتى يستفهمه"^(٤).

"لما نزلت هذه الآية: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} جلس ثابت بن قيس^(٥) في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل عنه النبي ﷺ سعد بن معاذ^(٦)، فقال:

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، يرد نسبه عند ذكر أبيه إن شاء الله تعالى أمه، وأم أخته حفصة: زينب بنت مضعون بن حبيب الجمحية. أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، لم يشهد بدرًا، استصغره النبي ﷺ فردّه، واختلفوا في شهوده أحدًا، فقيل: شهدها، وقيل: رده رسول الله ﷺ مع غيره ممن لم يبلغ الحلم. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، ٣/٣٣٦.

(٢) الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسِ بْنِ عَقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَفِيَانَ بْنِ مَجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ، قدم على النبي ﷺ بعد فتح مكة، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحينئذ، وحضر الطائف. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، ١/٢٦٤.

(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَةَ الْقُرَشِيِّ الْأَسَدِيِّ، وأمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ذات النطاقين، وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين، فحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لآكها في فيه، ثم حنكه بها، فكان ريق رسول الله ﷺ أول شيء دخل جوفه. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، ٣/٢٤١.

(٤) ابن العربي، أحكام القرآن، ط ٣، ٤/١٤٦.

(٥) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك وهو الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، يكنى: أبا مُحَمَّدَ بابنه مُحَمَّدَ، وقيل: أبو عبد الرحمن. كان ثابت خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ كما كان حسان شاعره، وقد ذكرنا ذلك قبل، وشهد أحدًا، وما بعدها، وقتل يوم اليمامة، في خلافة أبي بكر شهيدًا. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، ١/٤٥١.

(٦) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج. أسلم على يد مصعب بن عمير، لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلم المسلمين، فلما أسلم، قال لبني عبد الأشهل: كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا. فأسلموا، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام، وشهد بدرًا، لم يختلفوا فيه، وشهد أحدًا، والحنندق. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، ٢/٤٦١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

«يا أبا عمرة، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمت أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار! فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»^(١).

فما أجمله من أدب تأدب به أصحاب محمد ﷺ! أدبهم ربهم، وانصاعوا لحكمه وأمره طائعين، استغفروا ربهم رغم أن الخطاب لم يكن صريحاً لأحدهم، كل منهم يتهم نفسه بسوء الأدب، حاشاهم عن ذلك، فهم من اصطفاهم ربهم لصحبة خير المرسلين - صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله تعالى عليهم -.

واستدل العلماء بالآية على المنع من رفع الصوت عند قبره الشريف ﷺ، وعند قراءة حديثه عليه الصلاة والسلام؛ لأن حرمة ميتاً كحرمة حيّاً. وذكروا أيضاً كراهة الرفع أيضاً بحضرة العالم، وغير بعيد حرمة بقصد الإيذاء والاستهانة لمن يحرم إيذاؤه والاستهانة به مطلقاً، لكن للحرمة مراتب متفاوتة كما لا يخفى^(٢).

فقد أمرهم ربهم بأداب تناسب إيمانهم، ثم عرفهم بسوء حال من عدل عن هذه الصفة؛ فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ٤).

ولم يقل: حجرات نسائك، ولا حجراتك؛ توقيراً له ﷺ، وتحاشياً عما يوحشه عليه الصلاة والسلام، ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها فيكون القصد إلى الاستغراق العربي؛ أي جميع حجرات نسائه ﷺ، أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام^(٣).

وقيل: نزلت في وفد بني تميم؛ قدموا على النبي ﷺ، وهم سبعون أو ثمانون، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطار بن الحجاب، وذلك حين قالوا: ائذن لشاعرنا، وخطيبنا في

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، رقم الحديث ١٨٧، د. ط، ١/ ١١٠.

(٢) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط ١٣/ ٢٩٠.

(٣) الألوسي، المرجع السابق، ١٣/ ٢٩٣.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الكلام، فعلت الأصوات، واللغظ، فنزلت {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} (١).

قيل في معنى الآية: يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام؛ لأن خفض الصوت، وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير. ويحتمل أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغظ. والأول أولى.

والمعنى: لا ترفعوا أصواتكم إلى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبي ﷺ.

قال المفسرون: المراد من الآية: تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وأن لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض؛ أي: لا تجهروا بالقول إذا كلمتموه، كما تعتادونه من الجهر بالقول إذا كلم بعضهم بعضاً. قال الزجاج: "أمرهم الله بتبجيل نبيه، وأن يعضوا أصواتهم، ويخاطبوه بالسكينة والوقار"، وقيل: المراد بقوله: {وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ}؛ لا تقولوا: يا محمد، يا أحمد، ولكن: يا نبي الله، يا رسول الله؛ توقيراً له (٢).

وينبغي أن يكون المؤمن على أفضل الصفات والأخلاق، قال تعالى: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (سورة لقمان، الآية: ١٩).

وهذا حال المؤمن مع النبي ﷺ ومع غيره، هيئاً لئناً، حسن السمات غاضاً الصوت.

(١) السمرقندي، بحر العلوم، د. ط، ٣/٣٢٣.

(٢) الرازي، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ط ٣، ١/٣٣٠٢.

الفصل الرابع

حكم تقديم الرأي والاجتهاد على الكتاب والسنة

عن عكرمة^(١)، عن ابن عباس^(٢) قال: "إياكم والرأي؛ فإن الله رد على الملائكة الرأي لِإِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (سورة البقرة، الآية: ٣٠)، وقال لنبيه ﷺ: {وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} (سورة المائدة، الآية: ٤٩)، ولم يقل: بما رأيت^(٣).

قال بعض العلماء: "ما أخرج آدم من الجنة إلا بتقديم الرأي على النص، وما لعن إبليس وغضب عليه إلا بتقديم الرأي على النص، ولا هلكت أمة من الأمم إلا بتقديم آرائها على الوحي". فالآراء مثل: نظريات، وفلسفات، وقوانين وضعية، وعادات اجتماعية، وتقاليد قبلية، وأهواء، وعصبيات، وشهوات؛ فكل ذلك يدخل في الرأي، وهو من غير الوحي أو ما شرع الله وأنزله.

وقيل: "ولا تفرقت الأمة فرقاً وكانوا شيعاً إلا بتقديم آرائهم على النصوص"؛ إذ لو حكّموا الوحي ما تفرقوا وما اختلفوا، لكن عندما قدموا هذه الآراء على ما جاء من عند الله تفرقوا، فكل واحد يرى أن عقله أفضل من الآخر، ورحم الله الإمام مالكا لما قال: (أو كلما جاءنا رجل هو أجدل بحجته من الآخر تركنا ما جاء به محمد ﷺ عن جبريل عن ربه لقوله!)، ولهذا قال العلماء: من اتبع الرأي أكثر التَّنُقُّل. أي: أنه ما يثبت، فيكثر التنقل والتردد؛ إذ كل من أعرض عن الحق واتبع هواه فهو من أهل الأهواء والبدع والعياذ بالله^(٤).

وعن عمر أنه قال: "يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهداً، ووالله ما آلو^(٥) عن الحق، وذلك يوم أبي جندل^(٦) والكفار بين يدي رسول الله ﷺ،

(١) سبق ترجمته ص ١١.

(٢) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٣) الهروي، ذم الكلام وأهله، ط ١، ١١٧/٢.

(٤) المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط ١، ٤١ / ١.

(٥) قال الأصمعي: تقول هذيل: لا آلو كذا وكذا، أي لا أستطيعه، وجميع العرب يقولون: لا آلو، أي لا أدع جهداً.

ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ط ١، ٣ / ١٣٠٤.

(٦) هو: عبد الله بن سهيل بن عمرو، أمه فاختة، ويقال: ابنة عمرو بن نوفل، شهد بدرًا، وكان مع المشركين، فلما نزلوا بدرًا هرب إلى رسول الله ﷺ، واستشهد يوم اليمامة سنة إحدى عشرة.

ينظر: بن خياط، الطبقات لخليفة، د-ط، ص: ٦٣، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط ١، ٤ / ١٦٢١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وأهل مكة فقال: «اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم». فقالوا: إذن قد صدقناك كما تقول، ولكن تكتب: باسمك اللهم. قال: فرضي رسول الله ﷺ وأبيت عليهم حتى قال: «يا عمر تراني قد رضيت وتأبي؟!» قال: فرضيت^(١).

وقيل: "وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتم الفساد"^(٢).

فكما أنه لا يجوز أن يتقدم أحد بين يديه بأمر أو نهي، فكذلك لا يجوز التقدم بين يدي سنته بعد مماته ﷺ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند كل ذي عقل^(٣)... فسنته مقدمة على الرأي والاجتهاد، ولا اجتهاد فيما ورد فيه نص من الكتاب والسنة، وينطبق هذا على كل قانون مخالف لنص الكتاب والسنة، وكل تشريع يعارض تشريعه، والمسلم لا يقيم وزناً لأي قانون أو تشريع يخالف ما شرعه الله وسنه رسوله ﷺ، ولا يطيع في ذلك أحداً كائناً من كان؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذا الأدب أصل من أصول التشريع والعمل، وهو راجع إلى الاعتقاد الجازم بأن الله سميع بصير، لا تخفى عليه خافية، وعليم بمصالح عباده لا يفوت عليهم منها مصلحة في دين أو دنيا؛ فإن فوّت عليهم مصلحة قريبة فليحقق من ورائها مصلحة أعم وأعظم.

*** ** **

(١) المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط ١، ١ / ٤١.

(٢) الشاطبي، الموافقات، ط ١، ٢ / ٢٩٢.

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب ٦ / ٤٥١.

الفصل الخامس

مواقف من أدب الصحابة رضوان الله عليهم

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ^(١) قال: "بيننا أنا رديف صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرّحل. فقال: «يا معاذ بن جبل». قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثمّ سار ساعة، ثمّ قال: «يا معاذ». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثمّ سار ساعة ثمّ قال: «يا معاذ»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «هل تدري ما حقّ الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً». ثمّ سار ساعة ثمّ قال: «يا معاذ بن جبل». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. فقال: «هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوه؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقّ العباد على الله أن لا يعدّ بهم» ^(٤).

فالنبي قد نادى معاذًا ثلاث مرات، وفي كل مرة يرد عليه معاذ ثم يسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتكلم بكلمة واحدة، فلا يقول معاذ للرسول في أي من مرات الثلاث: ناديتني يا رسول الله فماذا كنت تريد؟ أو يقول: يا رسول الله أنسيت ماذا كنت تريد أن تقول؟ أو أي كلمة مشاهمة. ولكن يسكت، والرسول صلى الله عليه وسلم ينادي، فلا يعمل ولا يقول شيئًا بين يدي النبي، وهذا أدب عظيم.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ^(٥) قال: "مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتفضلون، فقال النبي

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عدي بن كعب، شهد بدرًا وهو ابن عشرين سنة، وشهد قبلها العقبين، كنيته أبو عبد الرحمن الأنصاري، انتقل إلى الشام ومات في طاعون عمواس بالأردن سنة ١٨ هـ في خلافة عمر وله ٣١ سنة. انظر: ابن حبان، الثقات لابن حبان، ط ١، ٣٦٩/٣.

(٢) الرديف الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة، تقول أردفته إردافًا وارتدفته، فهو رديف وردف. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٢٢٤، كتاب الرءاء، مادة ر د ف.

(٣) لبيك، معناه: قريبًا منك وطاعة؛ لأن الإلباب القرب، أدخلوا الباء كيلا يتغير المعنى؛ لأنه لو قال: لبيتك؛ صار من اللبب، واشتبه. يقولون من التلبية: لبيت بالمكان، ولبيت معناه: أقمته به، وألبيت أيضًا. ينظر: الفراهيدي، د-ط، العين ٨/ ٣٤١.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس/ باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم الحديث، ٥٩٦٧. ط ١، ١٧٠/٧.

(٥) سلمة بن عمرو بن الأكوع، يكنى: أبا مسلم، استوطن الرينة بعد قتل عثمان، وتوفي سنة أربع وسبعين، وله ثمانون سنة، وقيل: توفي سنة أربع وستين، كان يرتجز بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره حاديًا، وبايعه يوم الحديبية، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في منصرفه إلى المدينة: «خير رجالنا اليوم سلمة». انظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة، ط ١، ٣٣٩/٣.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

ﷺ: «ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان»، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟!»، قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟! قال النبي ﷺ: «ارموا فأنا معكم كلكم»^(١).

فالشاهد في الحديث: إمساك أحد الفريقين عن الرمي بعد أن قال النبي ﷺ للفريق المقابل: «ارموا وأنا مع بني فلان».

حقيق بمن تدبر هذا الأدب الجم من أصحاب النبي ﷺ أن يتعجب كل التعجب، كيف أنهم امتنعوا عن الرمي حتى لا يكونوا في وضع ظاهره أنهم خصوم للنبي ﷺ^(٢).

وفي قصة أبي أيوب الأنصاري^(٣) مع النبي ﷺ شيء عجيب، وضرب عظيم من الأدب الذي تأدب به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي أيوب الأنصاري، قال: "قدم رسول الله ﷺ المدينة فنزل على أبي أيوب، فأُنزل رسول الله ﷺ السُّقْل، ونزل أبو أيوب العلو، فلما أمسى وبات، فجعل أبو أيوب يذكر أنه على ظهر بيت رسول الله ﷺ أسفل منه، وهو بينه وبين الوحي، فجعل أبو أيوب لا ينام؛ يحاذر أن يتناثر عليه الغبار ويتحرك فيؤذيه، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما جعلت الليلة فيها غمضا أنا ولا أم أيوب، قال: «ومم ذاك يا أبا أيوب؟»، قال: ذكرت أني على ظهر بيت أنت أسفل مني، فأتحرك فيتناثر عليك الغبار، ويؤذيك تحريكاً، وأنا بينك وبين الوحي، قال: «فلا تفعل يا أبا أيوب، ألا أعلمك كلمات إذا قلتها بالغداة عشر مرات وبالعشي عشر مرات أعطيت بهن عشر حسنات، وكفّر لك بهن عشر سيئات، ورفع لك بهن عشر درجات، وكن لك يوم القيامة كعدل عشر محررين؟ تقول: لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد، لا شريك له»^(٤).

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير / باب التحريض على الرمي، رقم الحديث ٢٨٩٩، ٣٣٧٣، ط ١، ٤/٣٨، ١٤٧.

(٢) زواوي، شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، د. ط، ٢/٢٩٢-٢٩٤.

(٣) خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري، شهد بدرًا والعقبة، والمشاهد كلها، وعليه نزل رسول الله ﷺ وفي منزله إلى أن بنى مسجده وحجرته، لم يزل غازياً بعد رسول الله ﷺ إلى أن توفي في بعض غزواته بالقسطنطينية، دخل البصرة، وأنزله عبد الله بن عباس منزله، وقاسمه ماله، انظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة، ط ١، ٢/٩٣٣.

(٤) أخرجه الطبراني وأحمد في مسنده، انظر: الطبراني، المعجم الكبير، باب أفلح مولى أبي أيوب، رقم الحديث ٣٩٨٦، ط ٢، ٤/١٥٤. وانظر: الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط ١، ٣٨/٤٩٩، رقم الحديث ٢٣٥١٦، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح وإسناده ضعيف لجهالة أبي

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وقد كان الصحابة يهابون أن يسألوا رسول الله ﷺ، فكانوا ينتظرون أن يأتي أعرابي فيسأل، فيسرون بذلك.

وفي صلح الحديبية عند البخاري وغيره عن المسور بن مخرمة^(١) ومروان، قالوا: "خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية"... وساقا الحديث حتى بلغا: "ثم إن عروة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال: فوالله ما تنخم^(٢) رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمدًا ﷺ".^(٣)

جاء في الحديث عن أبي بكرة^(٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: "خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «أتدرون أي يوم هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «أي شهر هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال «أليس ذو الحجة؟»، قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام؟»، قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم

= الورد وهو ابن ثمامة القشيري.

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. ويكنى أبا عبد الرحمن، ولد المسور بن مخرمة بعد الهجرة بستين، وقبض رسول الله ﷺ والمسور بن مخرمة ابن ثماني سنين، وقد حفظ عنه أحاديث.

ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ط ١ / ٢ / ١٣٩، البغوي، معجم الصحابة، ط ١ / ٥ / ٣٥٤.

(٢) تنخم: تنخم وتنخم رمى بالنخامة والنخاعة وهي ما يخرج من الخيشوم عند التنخع والناخم.

ينظر: المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، د-ط ص: ٤٥٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث ٢٧٣١، ط ١، ١٩٣/٣.

(٤) نفع بن الحارث، ويقال: ابن مسروح من أهل الطائف أسلم في حصار النبي ﷺ الطائف، واشتهر بكنيته، وذلك أنه كان تدل إلى النبي من حصن من حصون الطائف ببكرة فاشتهر بذلك. وهو من فضلاء الصحابة، سكن البصرة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى مع الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، ط ١، ٣٦١/١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟»، قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١).

وكان من أدبهم معه وتوقيرهم إياه: ظهور ذلك التوقير في نبرات أصواتهم، ويعرف منه شخص رسول الله ﷺ بينهم، ويميز مجلسه فيهم.

وفي قوله تعالى: {أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ} غاية التحذير والتخويف، ولو لم يكن الأمر على درجة كبيرة من الأهمية ما حذر الله المخالفين عنه بحبوط العمل، مع أن الوقوع فيه غالبًا ما يكون عن غفلة وبغير علم ودونما شعور: {وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.

وكان من نتائج هذه التربية الربانية أن أبا بكر رضي الله عنه قال بعد نزول هذه الآيات: "والله لا أكلمك إلا كأخي السرار" وكذلك كان عمر رضي الله عنه، وكذلك سائر الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - متأدين بهذا الأدب قبل أن تنزل الآيات الكريمة بذلك، وكان نزولها بسبب ما وقع من بعض الأعراب حين قدموا على رسول الله ﷺ في العام التاسع للهجرة بعد فتح مكة، يريدون الدخول في الإسلام، فنادوا من وراء الحجرات وكرروا النداء: يا محمد اخرج إلينا... فكره النبي ﷺ هذه اللهجة، وهذا الإزعاج؛ فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ٥).

وقد أثنى الله على الصحابة بما كانوا عليه من الأدب الكريم؛ فقال فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}، فالتقوى هبة عظيمة يضعها الله في قلوب من يعلم فيهم الصدق والإخلاص والأهلية، وقد جعل الذين يغضون أصواتهم عند رسوله من هؤلاء، فبشّرهم بالمغفرة والأجر العظيم، فانظر كيف جاء هذا الترغيب العميق بعد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب الحج/ باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث ١٧٤١، ط ١، ١٧٦/٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

ذلك التحذير الشديد.

وهذا الأدب ليس مقصوراً عليه في حياته، بل هو مطلوب بعد وفاته عند ذكره، وعند دخول مسجده، وعند زيارته والسلام عليه ﷺ.

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يرفع صوته في مسجد رسول الله ﷺ فقال له: "أتدري أين أنت؟!!" ثم سأله: "من أين أنت؟" فقال: من الطائف؛ فقال عمر: "لو كنت من أهل المدينة لأوجعتك ضرباً"^(١).

وهذا يدل على الحب والاحترام لرسول الله ﷺ، وهو أن لا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي ﷺ، وأن نتأدب معه في كل أحوالنا؛ في حياته وبعد مماته.

*** *** ***

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف، رقم الحديث ١٧١٢، ١ / ٤٣٨.

الباب الثاني

الإسلام والإيمان ودورهما في ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي

وفيه فصلان.

الفصل الأول: الإسلام والإيمان، وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: مراتب الإسلام.

المبحث الثاني: مراتب الإيمان.

المبحث الثالث: الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افتترقا.

المبحث الرابع: الإسلام أعم من الإيمان.

المبحث الخامس: بيان المؤمنون حقاً.

المبحث السادس: المنّ المحمود والمذموم.

المبحث السابع: سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء.

الفصل الثاني: عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المنهج الإسلامي في تلقي الأخبار.

المبحث الثاني: رفع الحرج والعنت عن الأمة.

المبحث الثالث: ذكر عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما.

المبحث الرابع: الإصلاح بين المتخاصمين.

المبحث الخامس: علاج مشكلة النزاع بين المسلمين والقضاء على أسباب الخلاف وترضية

المتخاصمين.

المبحث السادس: رابطة الإخاء والود بين المؤمنين.

المبحث السابع: حرمة المسلم.

المبحث الثامن: مبدأ الإخاء الإنساني والمساواة بين الشعوب.

** ** *

الفصل الأول الإسلام والإيمان

وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: مراتب الإسلام.

المبحث الثاني: مراتب الإيمان.

المبحث الثالث: الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا.

المبحث الرابع: الإسلام أعمّ من الإيمان.

المبحث الخامس: بيان المؤمنون حقاً.

المبحث السادس: المنّ المحمود والمذموم.

المبحث السابع: سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء.

المبحث الأول

مراتب الإسلام

قال تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ١٤).

يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا: آمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} أيها القوم الذين صدقوا الله ورسوله، {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يقول: جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقوله: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}؛ يقول: هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقق دمه وماله^(١).

روي في سبب نزول الآية عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: "أعطى النبي ﷺ رجلاً، ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد: يا نبي الله، أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ: «أو مسلم»، حتى أعادها سعد ثلاثاً، والنبي ﷺ يقول: «أو مسلم»، ثم قال النبي ﷺ: «إني لأعطي رجلاً، وأدع من هو أحب إلي منهم فلا أعطيه شيئاً، مخافة أن يكفوا في النار على وجوههم»^{(٢)(٣)}.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبي ﷺ: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا:

(١) الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ١، ١٠٢/٢٢.

(٢) الطبري، المرجع السابق، ٢٢/٣١٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب أبي إسحاق مسند سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم الحديث ١٥٢٢، ط ١، ١٠٧/٣، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

أسلمنا، ولا تقولوا: آمنا، فقال بعضهم: إنما أمر النبي ﷺ بذلك؛ لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم، فقليل لهم: قولوا: أسلمنا؛ لأن الإسلام قول، والإيمان قول وعمل^(١).

والدين ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

فالإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. وبتحقيق هذه الصفات تكون مسلماً.

فأول مرتبة من مراتب الدين هي الإسلام، ثم بعدها الإيمان، ثم بعدها الإحسان.

فدائرة الإسلام واسعة، المنافقون يدخلون فيها إذا انقادوا إلى الإسلام وأظهروه والتزموا به ظاهراً، إذا صلوا مع المسلمين وزكوا وعملوا الأعمال الظاهرة، يسمون مسلمين، وتطبق عليهم أحكام المسلمين في الدنيا.

والإيمان هو المرتبة الثانية، والمؤمنون يتفاوتون؛ منهم المقربون، ومنهم الأبرار، والمقربون هم أصحاب أعلى الدرجات، والأبرار دونهم، ومنهم الظالم لنفسه وهو المرتكب للكبائر التي هي دون الشرك، فهو مؤمن فاسق، أو مؤمن ناقص الإيمان.

والمرتبة الثالثة هي الإحسان، وهي أن يحسن العبد فيما بينه وبين الله، في عبادة الله ﷻ، وذكر النبي ﷺ الإحسان فقال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"^{(٢)(٣)}.

قال ابن تيمية^(٤): "الدين وأهله ثلاث طبقات: أولها: الإسلام، وأوسطها: الإيمان، وأعلىها: الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً"^(٥).

(١) الطبري، تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ١، ٣١٤/٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}، رقم الحديث ٤٧٧٧، ط ١، ١١٥/٦.

ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب معرفة الإسلام، والإيمان، والقدر، رقم الحديث ٨، د. ط، ٣٦/١.

(٣) الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، ط ١، ١٦١/١.

(٤) سبق ترجمته ص ١٦.

(٥) ابن تيمية، الإيمان، ط ٥، ٣٥٨/٧.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

فإذا قالوا: إنا مؤمنون فهم الصادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم، وباطنه غير مُصَدِّق، فذلك الذي يقول: أسلمتُ؛ لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صديقاً؛ لأنَّ قولك: آمَنْتُ بكذا وكذا؛ معناه صدقت به، فأخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}؛ أي لم تصدقوا، إنما أسلمتم تَعَوِّدًا من القتل، فالمؤمن مُبْطِنٌ من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام وهو مظهر الطاعة مع ذلك مؤمن بها، والمسلم الذي أظهر الإسلام تَعَوِّدًا غير مؤمن في الحقيقة، إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين^(١).

** ** **

(١) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ط ١، ٣٨/٥.

المبحث الثاني

مراتب الإيمان

قال تعالى: **لِإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴿١٥﴾ **قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴿١٦﴾ **يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ ءَاسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴿١٧﴾ (سورة الحجرات، الآية: ١٥-١٧).

قال الله ﷻ: **لِإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ** { يعني: المصدقون في إيمانهم { **الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** { يعني: لم يشكوا في إيمانهم { **وَجَاهَدُوا** { الأعداء { **بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** { أي: في طاعة الله { **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** { في إيمانهم. فلما نزلت هذه الآية، أتوا رسول الله ﷺ، فحلفوا بالله أنهم لمصدقوه في السر، فنزل: **قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ** { الذي أنتم عليه { **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** { يعني: سر أهل السموات، وسر أهل الأرض { **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** { أي: يعلم ما في قلوبكم من التصديق وغيره.

يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ ءَاسَلَمُوا { وذلك أنهم كانوا يقولون لنبي الله ﷺ: أتيناك بالعيال والأثقال طوعاً، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطينا؛ فقال الله تعالى: **قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ** { وقوله: **إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** { أنكم مؤمنون، أي: لله المنَّة إن صدقتم في إيمانكم لا لكم^(١).

قيل: إذا أطلق لفظ "الإيمان" فالمراد به الدين كله وهو يشتمل على شُعب، كما في حديث الشُّعب عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"^(٢).

فاشتمل الإيمان على جميع الطاعات فرضها و نفلها مما يجب على القلب واللسان والجوارح، كما

(١) النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١، ١/٢٠٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب أمور الإيمان ١/ ١١، ومسلم في صحيحه، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب شعب الإيمان، رقم الحديث ٣٥، د. ط، ١/٦٣.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

يشتمل الإيمان على ترك المحظورات المحرم منها والمكروه، وينقسم الإيمان إلى مراتب تشتمل كل مرتبة على بعض شعب الإيمان بحيث تتضمن المراتب الثلاث جميعاً شعب الإيمان.

قال ابن تيمية^(١): "وهكذا جاء القرآن، فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة، قال تعالى: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (سورة فاطر، الآية: ٣٢)، فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه^(٢).

*** *** ***

(١) سبق ترجمته ص ١٦.

(٢) ابن تيمية، الإيمان، ط ٥٥، ٣٥٨/٧.

المبحث الثالث

الفرق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وإذا افترقا

قول العلماء عن الإسلام والإيمان: أنهما عندما يذكران جميعاً في نص فكل مصطلح منهما له معناه، وإذا افترقا في الذكر فيتضمن كل واحد المعنيين، وقعدوا هذه القاعدة: "إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا".

فمعناه أنهما إذا ذكرا معاً في موضع واحد فلكل واحد منهما معناه الخاص به، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فإن المذكور يتضمن معنى غير المذكور؛ ولذلك فهما متداخلان إذا ذكر أحدهما، متباينان إذا ذكرا معاً^(١).

و"من يفرق بين الإسلام والإيمان، فإنه يستدلُّ بهذه الآية على الفرق بينهما، ويقول: نفى الإيمان عنهم لا يلزم منه نفى الإسلام، كما نفى الإيمان عن الزاني والسارق والشارب، وإن كان الإسلام عنهم غير منفي.

قال قتادة في هذه الآية؛ قال: " {قُولُوا أَسْلَمْنَا}: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو دينُ الله، والإسلامُ درجةٌ، والإيمانُ تحقيقٌ في القلب.

والهجرةُ في الإيمانِ درجةٌ، والجهادُ في الهجرةِ درجةٌ، والقتلُ في سبيلِ الله درجةٌ"^(٢).

فجعل قتادة الإسلام الكلمة، وهي أصلُ الدين، والإيمان ما قام بالقلوب من تحقيق التصديق بالغيب، فهؤلاء القوم لم يحققوا الإيمان في قلوبهم، وإنما دخل في قلوبهم تصديق ضعيف، بحيث صحَّ به إسلامهم.

ويدلُّ عليه قوله تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً}.

(١) الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١ / ٢٤٠، والغنيمين، شرح العقيدة السفارينية ١ / ٣٩٣، والعباد، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص: ٢٦٨.

(٢) أخرجه ابنُ أبي حاتم.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

واختلف مَنْ فَرَّقَ بين الإسلام والإيمان، في حقيقة الفرق بينهما: فقالت طائفة: الإسلام كلمة الشهادتين، والإيمان العمل.

ويشبهه هذا: قول ابن زيد في تفسير هذه الآية، قال: لم يصدِّقُوا إيمانهم بأعمالهم، فردَّ الله عليهم، وقال: {لَمْ تُؤْمِتُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}. فقال: الإسلام إقرارٌ والإيمان تصديقٌ.

وقد ضعَّفَ ابنُ حامدٍ من أصحابنا هذا القول عن أحمد، وقال: الصحيح إن مذهبه أن الإسلام قولٌ وعملٌ، رواية واحدة، ولكن لا تدخلُ كلَّ الأعمالِ في الإسلام كما تدخلُ في الإيمان. وقد ذهب طائفةٌ إلى أن الإسلام عامٌّ، والإيمان خاصٌّ، فمن ارتكب الكبائرَ خرجَ من دائرة الإيمان الخاصةِ إلى دائرة الإسلامِ العامَّةِ.

وقالت طائفةٌ: الفرقُ بين الإسلام والإيمان: أن الإيمان هو التصديقُ؛ تصديقُ القلبِ، فهو علمُ القلبِ وعمله، والإسلامُ الخضوعُ والاستسلامُ والانقيادُ، فهو عملُ القلبِ والجوارحِ.

لكن المتكلمونَ عندهم أن الأعمالَ لا تدخلُ في الإيمان، وتدخلُ في الإسلام، وأما أصحابنا وغيرهم من أهل الحديث، فعندهم أن الأعمالَ تدخلُ في الإيمان، مع اختلافهم في دخولها في الإسلام^(١).

** ** **

(١) ابن رجب، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، ط ١، ٢/٢٩١-٢٩٣.

المبحث الرابع الإسلام أعم من الإيمان

يتبين لنا مما سبق أن الإسلام أعم من الإيمان من ناحية مرتبته وأهله الذين يدخلون فيه، والإيمان أخص من ناحية الذين يدخلون فيه، وأما من ناحية كون الإيمان يدخل فيه الإسلام، والإسلام لا يكون داخلاً فيه الإيمان فيكون العكس؛ فهذا في حالة ما إذا اجتمع ذكرهما جميعاً، أما إذا جاء ذكر كل واحد منهما منفرداً فكل منهما يدخل في الآخر، كما قال الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسَلَمُوا} (سورة آل عمران، الآية: ١٩)، فجعل الدين كله الإسلام، وكذلك قول الله جل وعلا: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} (سورة الأنفال، الآية: ٢) إلى آخر الآيات، وقوله: {ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ} (سورة البقرة، الآية: ٢٨٥)، وقوله: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ} (سورة البقرة، الآية: ١٧٧) إلى آخر الآية.

فإذا جاء أحدهما منفرداً دخل فيه الآخر، ولهذا نظائر في لغة العرب، كإطلاق وصف الفقير والمسكين، فإنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر الفقير دخل فيه المسكين، وإذا ذكر المسكين دخل فيه الفقير؛ أما إذا ذكرنا معاً فيفسر كل واحد منهما بمعنى مستقل، كالأية التي ذكر الله جل وعلا فيها مصارف الزكاة: {إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} (سورة التوبة، الآية: ٦٠)؛ هنا ذكرنا مجتمعين، فصار لكل واحد معناه، ولهذا فُسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئاً، وُفسر المسكين بأنه الذي يجد بعض الشيء أو بعض الكفاية؛ لأن الله جل وعلا قال في آية أخرى: {أَمْ أَلْسَفِينَةٌ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} (سورة الكهف، الآية: ٧٩)، فسامهم مساكين مع أن لهم سفينة؛ فدل على أن المسكين أقل حاجة من الفقير، فالمقصود هنا التفريق بين الإسلام والإيمان.

فعلى هذا المعنى يكون بين مسمى المؤمن والمسلم عموم وخصوص؛ فيكون كل مؤمن مسلماً ولا عكس، فليس كل مسلم يكون مؤمناً، وكذلك يكون كل محسن مؤمناً مسلماً ولا عكس؛ فليس كل مؤمن يكون محسناً؛ لأن دائرة الإسلام أوسع، ويليهما دائرة الإيمان، ويليهما دائرة الإحسان فهي أخص، وهذه المراتب هي مراتب الدين، وآخرها وأعلىها مرتبة الإحسان؛ لأن الإحسان هو الإتيان

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

بغاية ما يمكن من تحسين العمل المأمور به، ولا يترك شيئاً مما أمر به^(١).

** ** *

(١) ابن تيمية، الإيمان ص: ٢٨٩، وحافظ حكيم: معارج القبول بشرح سلم الوصول ٢/ ٦٠٦، والغامدي: الإيمان بين السلف والمتكلمين ص: ٣٨.

المبحث الخامس

بيان المؤمنين حقاً

جاءت آيات كثيرة من سورة الحجرات ناطقة بصفات المؤمنين على الحقيقة؛ منها:

١ - قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٥).

في هذه الآية بيان من الله تعالى أن المؤمن الحق هو ذلك المؤمن الذي يعلم بوجوب الجهاد، وعدم الارتياب والشك في موعود الله تعالى الذي أعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله.

والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، وإن كان فرضاً على الكفاية إذا كان جهاد دفع، فجميع المؤمنين يخاطبون به ابتداءً، فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه، والعزم على فعله إذا تعين؛ والجهاد جنس، تحته أنواع متعددة، ولا بد أن يجب على المؤمن نوع من أنواعه^(١).

٢ - قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (سورة الأنفال، الآية: ٢-٤) يدل على صفات المؤمنين على الحقيقة؛ حيث ذكرهم الله تعالى، وخشيتهم منه عند تلاوة القرآن وسماعه، وكذا تمام توكلهم على الله جل وعلا، وإقامتهم للصلاة، ومبادرتهم بالنفقة في سبيله^(٢).

٣ - قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} (سورة المجادلة، الآية: ٢٢)، فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينافي موادته، كما ينفي أحد الضدين الآخر. فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاته أعداء الله، فإذا كان الرجل

(١) الطبري، جامع البيان ١، ٢٢ / ٣١٤، الواحدي، التفسير الوسيط، ط ١ / ٤ / ١٦٠.

(٢) الماوردی، النكت والعيون، د- ط ٢ / ٢٩٥.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

يوالي أعداء الله بقلبه، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب^(١).

فبينت السورة أن من صفات المؤمنين حقاً أنهم الذين توجهوا قلوبهم عند ذكر الله، ويزدادون إيماناً عند تلاوة آياته، ويتوكلون على الله، ويقومون بالصلاة، ويؤتون الزكاة، وهذه الأعمال شملت أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فوجلت القلب عند ذكر الله من أعمال القلوب، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ فهذه أعمال، وكل هذه الأعمال من أعمال القلوب واللسان والجوارح داخلة في مسمى الإيمان.

** ** **

(١) ابن تيمية، الإيمان، ط ٥، ١٧/١.

المبحث السادس المنّ المحمود والمذموم

قال تعالى: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

قيل: نزلت في أناس من الأعراب: بني أسد بن خزيمه^(١) قدموا على النبي ﷺ فقالوا: جئناك وأتيناك بأهلنا طائعين عفواً على غير قتال، وتركنا الأموال والعشائر وكل قبيلة في العرب قاتلوك حتى أسلموا، فلنا عليك حق فاعرف لنا ذلك. فنزلت فيهم: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

لم تعم هذه الآية كل الأعراب، بل فيهم المؤمنون حقاً، إنما نزلت في حي من أحياء العرب امتنوا بإسلامهم على نبي الله فقالوا: آمنا، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان^(٢).

ومن لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركاً، وإن رآها لنفسه كان مكرراً، فكيف يمنّ العبد بما هو شرك أو بما هو مكرراً؟! والذي يجب عليه قبول المنّة... كيف يرى لنفسه على غيره منّة؟! هذا لعمرى فضيحة! بل المنّة لله فهو وليّ النعمة. ولا تكون المنّة منة إلا إذا كان العبد صادقاً في حاله، فأما إذا كان معلولاً في صفة من صفاته فهي محنة لصاحبها لا منّة.

والمنّة تكدر الصنيع إذا كانت من المخلوقين، ولكن بالمنّة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله^(٤).

والمنّة: النعمة العظيمة، قال الأصفهاني: "المنّة: النعمة الثقيلة وهي على نوعين:

(١) ديار بني أسد بن خزيمه، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد وبين أهل الردة.

ينظر: معجم البلدان / ١ / ٤٤٥.

(٢) البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، ط ١، ٤ / ٩٩، ١٠٠.

(٣) المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط ١، ١١ / ٧٠١٦.

(٤) القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ط ٣، ٣ / ٤٤٥.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

النوع الأول: أن تكون هذه المنة بالفعل فيقال: من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (سورة آل عمران، الآية: ١٦٤) وقوله تعالى: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (سورة النساء، الآية: ٩٤)، وقال ﷺ: {وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} (سورة الصافات، الآية: ١١٤)، {وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى} (سورة طه، الآية: ٣٧)، {وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (سورة القصص، الآية: ٥)، {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ} (سورة الطور، الآية: ٢٧)، {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} (سورة إبراهيم، الآية: ١١). وهذا كله على الحقيقة لا يكون إلا من الله تعالى؛ فهو الذي منَّ على عباده بهذه النعم العظيمة فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد رضاه، وله الحمد في الأولى والآخرة.

النوع الثاني: أن يكون المنُّ بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس، ولقبح ذلك قيل: المنة تخدم الصنيعة، قال الله تعالى: {يُمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ اسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ اسْلَمْتُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٧)، فالمنة من الله عليهم بالفعل وهو هدايتهم للإسلام، والمنة منهم بالقول المذموم، وقد ذم الله في كتابه ونهى عن المنُّ المذموم: وهو المنة بالقول؛ فقال: {وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُوا} (سورة المدثر، الآية: ٦)، قال ابن كثير: لا تمن بعملك على ربك تستكبره، وقيل غير ذلك، وقال الله ﷻ: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (سورة البقرة، الآية: ٢٦٤ - ٢٦٥). قال ابن كثير: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (سورة البقرة، الآية: ٢٦٤ - ٢٦٥). قال ابن كثير: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (سورة البقرة، الآية: ٢٦٤ - ٢٦٥).

وقد ذم رسول الله ﷺ المنُّ بالعطية فقال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، وهم عذاب أليم" فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: "المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" (١). هذا هو المنُّ المذموم.

(١) رواه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب غلظ تحريم إسبال الإزار، رقم الحديث ١٠٦، د. ط، ١/١٠٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

أما المن بمعنى العطاء والإحسان، والجود فهو المحمود.

والخلاصة: أنّ الله تبارك وتعالى هو المنان الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، وهو عظيم المواهب، أعطى الحياة، والعقل، والنطق، وصور فأحسن، وأنعم فأجزل، وأكثر العطايا والمنح، وأنقذ عباده المؤمنين، ومنّ عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بمنه وفضله، ومنّ على عباده أجمعين: بالخلق، والرزق، والصحة، والأمن لعباده المؤمنين، وأسبغ على عباده النعم مع كثرة معاصيهم وذنوبهم^(١).

وقد نص العلماء - كالحنابلة - على أن المنّ من كبائر الذنوب، لكن الواهب إن عامله من أحسن إليه بالإساءة فلا يحرم عليه المنّ حينئذ.

** ** *

(١) السقاف، الموسوعة العقديّة - الدرر السنية، ٩/٢.

المبحث السابع

سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء

تكرر في أول السورة وآخرها التذكير بعلم الله واطلاعه على خلقه، مما يحرك في القلب مراقبة الله في كل وقت وفي كل حال، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٨). وإن من علامة مراقبة الله ﷻ أن يعظم ما عظمه الله، ويمتثل أمر الله، وأن يؤثر ما أنزل الله، مما يولد في القلب الشعور بمعية الله ﷻ، وأن الله تعالى يرى ظاهره وما يخفيه في قلبه، فيراقب الله ﷻ في حركاته وسكناته، فإذا استشعر العبد أن الله يراقبه، وأن الله تعالى عليم به، وأن الله تعالى معه، فإن ذلك يحمله على طاعته، ويمنعه عن معصيته، يقدم قول الله ورسوله وأمرهما على كل أحد، وإذا راقب العبد ربه، حفظ بذلك دينه بإيمانه أن الله ﷻ يعلم ما ظهر وما بطن، وما غاب عن الأبصار أو ظهر، عندما يُؤمن العبد بمعية الله تحججه مراقبته لربه عن عصيانه، عن رفع صوته في حضرة رسول الله ﷺ وفي غيبته، عن انتهاك حرماته، يغض بصره، ويحفظ لسانه عن عورات غيره وعن ما لا يحل له، يؤدي حقوق العباد على أكمل وجه؛ لأنه يعلم أن الله تعالى يراه، أن الله ﷻ محاسبه.

إذا راقب العبد ربه علم أن كل نعمة أصلها ومنشأها من الله تعالى، فإذا آمن العبد بمعية الله وعمل بمقتضى مراقبته لله؛ فإن ذلك يحمله على الانتهاء عن معاصي الله، وينشطه على إجابة ما يدعو إليه.

والسورة الكريمة كلها أمر ونهي بتكرار النداء بصفة الإيمان الذي من جملته الإيمان بالغيب، والإيمان بمراقبة الله تعالى، فإذا تحقق الإيمان الحقيقي بالغيب ومراقبة الله تعالى؛ فإن ذلك مما يثمر تحقيق جميع مقاصد السورة الكريمة.

فتلك المراقبة ثمرة من ثمرات الإيمان باسمين من أسماء الله وصفاته (سميع، بصير)؛ فالعلم يوجب الخشية، وفقده يستلزم فقد الخشية، فالعلم بتفاصيل أمر الله ونهيه، والتصديق الجازم بذلك، ومما يترتب عليه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب، مع تيقن مراقبة الله واطلاعه، ومشاهدته، ومقتته لعاصيه

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وحضور الكرام الكاتبين؛ كل هذا يوجب الخشية، وفعل المأمور وترك المحذور، وإنما يمنع الخشية ويوجب الوقوع في المحظورات الغفلة عن استحضار هذه الأمور، والغفلة من أضداد العلم، والغفلة والشهوة أصل الشر^(١).

** ** *

(١) ابن رجب، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، دط١، ١٢٤/٢.

الفصل الثاني

عوامل ثبات وتماسك المجتمع الإسلامي

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: المنهج الإسلامي في تلقي الأخبار.

المبحث الثاني: رفع الحرج والعنت عن الأمة.

المبحث الثالث: ذكر عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما.

المبحث الرابع: الإصلاح بين المتخاصمين.

المبحث الخامس: علاج مشكلة النزاع بين المسلمين والقضاء على أسباب الخلاف وترضية المتخاصمين.

المبحث السادس: رابطة الإخاء والود بين المؤمنين.

المبحث السابع: حرمة المسلم.

المبحث الثامن: مبدأ الإخاء الإنساني والمساواة بين الشعوب.

المبحث الأول

المنهج الإسلامي في تلقي الأخبار

مما لا شك فيه أن المجتمع الإسلامي بناءً متين، قوي الأركان، حدّ حدوده رب حكيم، وأسّسه قائده على تقوى من الله ورضوان، وكان لا بد لبقائه وثباته من أمور يلتزمها أفرادها ليقى قوياً شامخاً، لا تهزه ولا تخلخله آفات السنين، ولا تقلبات الأزمان، ولا افتراءات المغرضين وأهواؤهم.

ومن جملة عوامل ثبات المجتمع الإسلامي وتماسكه: الالتزام بمنهج القرآن الكريم في تلقي الأخبار، قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (الحجرات، الآية: ٦)، فلا تخفى حاجة المجتمع إلى نقل الأخبار بين الناس، ولكن يتميز المجتمع الإسلامي بقوانين تضبط الآداب في تلقي الأخبار، وتناقلها ونشرها بين الناس، وقد ذمّ الدين الإسلامي الشائعات^(١) وأصحابها؛ لما لها من آثار سلبية على أفراد المجتمع، ووحدة البناء الإسلامي، وعدّ ذلك سلوكاً مردوئاً؛ لمنافاة السجايا الكريمة، والأخلاق النبيلة، التي جاءت بها وحثت عليها شريعتنا الغراء؛ من المحبة، والإخاء، والتكاتف، والتعاطف، والبذل، والصفاء، والإخاء.

وما الشائعة إلا نسف لتلك القيم، وهدم لتلك المبادئ، وهي من أخطر الحروب المعنوية، ومن أخطر الأسلحة النفسية تأثيراً، ولخطورتها على المجتمعات كان حرياً التحذير منها، والتصدي لها، للحفاظ على وحدة الدين، وصيانة العرض، ولشناعتها وصف تعالى صاحبها بالفاسق، عياداً بالله من ذلك.

وقد عالج الإسلام قضية الإشاعة حيث عدّ مشيع الأخبار دون تثبت من الفاسقين؛ تنفيراً من نقل الأخبار دون التأكد من صحتها، يقول الله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا

(١) الإشاعات لغة: من شاع الخبر يشيع شيعوعة ذاع، و أشاع الخبر أذاعه.

ينظر: مختار الصحاح ص: ١٧١، باب الشين، مادة ش ي ع.

واصطلاحاً: مجموعة الأخبار والمعلومات التي تنشر في وسط اجتماعي محدد دون أن تكون صادقة بالضرورة، فإذا ما ثبتت صحتها انتفت عنها صفة الشائعة، وباتت حقيقة قائمة.

ينظر: الأصفر، العوامل النفسية والاجتماعية لانتشار الشائعات، وكيفية الوقاية من مخاطرها، ص ٤.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

بِجَهْلَةٍ فَصَبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}، قال التستري: "الفاسق الكذاب. وباطنها تأديب من بلغه ذمه من أحد بأن لا يعجل بعقوبته ما لم يتعرف ذلك من نفسه"^(١).

عن مجاهد^(٢) قال: "أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط^(٣) إلى بني المصطلق ليُصَدِّقَهُمْ، فتلقوه بالهدية، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق جمعوا لك ليقاتلوك. فأنزل الله ﷻ: {إِنْ جَاءَكَ مِنَ فَاسِقٍ بِنِإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} "^(٤).

ولنا في حادثة الإفك موعظة بليغة، ينبغي أن يعتبر بها أولو القلوب والأبصار، فكيف كاد نقل الخبر دون تثبت أن يهدم بيتاً، ويهتك عرضاً، ويوقع البغضاء والتشاحن، ويحمل الأفراد على الغيبة والنميمة^(٥)، والوقوع في أعراض المسلمين وحرمتهم، وربما يحمل على قتل نفس بغير حق^(٦).

في هذا الأثر جماعة من الصحابة لم يترجم لهم عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأَيُّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي^(٧)، وَأُنزَلُ فِيهِ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل^(٨)، ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل..... إلى قولها رضي الله عنها: فهلكت فيمن هلك من أصحاب

(١) التستري، تفسير التستري، ط ١، ١٤٩/١.

(٢) سبق ترجمته ص ٥٦.

(٣) ترجمته ص ٩١.

(٤) المخزومي، تفسير مجاهد، ط ١، ٦١٠/١.

(٥) النميمة: نقل الحديث من قوم إلى قوم، على جهة الإفساد والشر. وقد تم الحديث ينمُّه وينمُّه نَمًا فهو نمام، والاسم النميمة.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢٠ / ٥.

(٦) في هذا الأثر جماعة من الصحابة لم يترجم لهم عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأَيُّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنزَلُ فِيهِ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل..... إلى قولها رضي الله عنها: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك".

(٧) الهودج: يضطرب على ظهر البعير كانت تحمل فيه النساء.

ينظر: مقاييس اللغة ٤٤ / ٦.

(٨) قفل: القفول الرجوع من السفر، ومنه القافلة وهي الرفقة الراجعة من السفر.

ينظر: مختار الصحاح ص: ٢٥٨، باب القاف، مادة ق ف ل.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الإفك^(١).

لنتأمل تصرف قائد الأمة محمد ﷺ بعد أن تلقى الخبر، كيف مكث شهراً لم يحدث ولم يفتح عائشة رضي الله عنها بالأمر! كيف صبر أن يتكلم الناس بالسوء ولا يرميها رضي الله عنها ببهتان، ولا أن يلوث سمعها بذلك، وخاصة في مرضها، إنه التثبت والتبين الذي أمر به ديننا القويم، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، أراد ﷺ أن يتبين الأمر، كيف تقذف أم المؤمنين وهو لا يظن بها إلا خيراً، ولا يرى منها إلا إحساناً في القول والعمل، يقول الله تعالى: {أُولَآئِكَ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} (سورة النور، الآية: ١٢).

فالمرء يتفكر بعقله قبل أن يذيع خبراً لا يدري هل يحتمل الصدق أم الكذب، والعاقل يستطيع أن يميز بين الأمور بدلائل تدل عليها، وذوي العقول الواعية، والعقيدة المتزنة يدركون أنه ليس كل ما يُسمع يقال، ولا كل ما يعلم يصلح للإشاعة والنشر. بل قد يكون الخبر صحيحاً ولكن لا مصلحة في نشره أبداً، فعلينا جميعاً أفراداً وأسرّاً وجماعات ومؤسسات أن نتفكر في عواقب الإشاعة.

فعودة مرة أخرى للآية السابقة في سورة الحجرات: يقول الله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (سورة الحجرات، الآية: ٦).

وفيما ورد من أسباب نزول الآية قيل: نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٢)، وسبب نزولها ما رواه سعيد عن قتادة: "أن نبي الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصدقاً لبني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهاجمهم، فرجع إلى النبي ﷺ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد، وأمره أن يثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونهم، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا، أتاهم خالد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن/ باب {أُولَآئِكَ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ...}، رقم الحديث ٤٧٥٠، ١٠١/٦.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وولاه عمر بن الخطاب صدقات بني تغلب، وولاه عثمان بن عفان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، ثم عزله عنها، فلم يزل بالمدينة حتى بويع علي فخرج إلى الرقة فنزلها، واعتزل علياً ومعوية فلم يكن مع واحد منهما حتى مات بالرقعة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى مع الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة في: من قبض رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان، ط ١، ١٧٠.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

ورأى صحة ما ذكره، فعادوا إلى نبي الله ﷺ فأخبروه، فنزلت هذه الآية^(١).

وعن الحارث بن ضرار الخزاعي^(٢) قال: "قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أأرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله ﷺ رسولاً لإبان كذا وكذا، ليأتيك بما جمعت من الزكاة؟ فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس الرسول فلم يأت، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ﷻ ورسوله ﷺ فدعا بسراوات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقتاً وقتاً يرسل إلي رسولاً ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسول الله ﷺ إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة.

فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق فرجع، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، فلقاهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله. قال: والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟».

قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني. وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله ﷻ ورسوله.

قال: فنزلت الحجرات: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجهَلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَي مَآفَعَلْتُمْ نَدْمِينَ}، إلى هذا المكان: {فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ٨)^(٣).

(١) انظر: الواحدي، أسباب النزول، ت: الحميدان ص: ٣٩٠، الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، د. ط، ٣٢٩/٥، والمزني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ٢/ ٩١٩.

(٢) الحارث بن ضرار، وقيل: ابن أبي ضرار الخزاعي المصطلق، يكنى: أبا مالك، يعد في أهل الحجاز، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١، ٣٩٩/١.

(٣) البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط ١، ٧/٣، ٨.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

لنتأمل ما حدث! ماذا لو قاتلوا إخوانهم دون تثبت، كم من روح مؤمنة كادت تُزهق بغير وجه حق؟! كيف يحقق التثبت مقصدًا عظيمًا من مقاصد الدين الإسلامي؟ ماذا لو قالوا: أن المسلمين يقتل بعضهم بعضًا؟ أليس في ذلك زعزعة للدين؟ ومن هنا يظهر لنا أهمية التثبت في حفظ الدين والنفس والعرض أيضًا؛ حفظًا للدين من التفكك والتصدع، وحقنًا لدماء من ينتسبون لهذا الدين المتين، فلا يحل للمسلم أن ييثر خبرًا دون أن يكون متأكدًا من صحته؛ ذلك أن الأخبار ليست كلها صحيحة، وإن كانت كاذبة فهو مشارك في نقل الكذب، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع"^(١).

ومن وسائل وطرق التثبت: إرجاع الأمر لأهله وذوي الاختصاص به؛ يقول الله تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } (سورة النساء، الآية: ٨٣)، فكم من الأخبار الكاذبة التي وقع بسببها الفساد العريض وقد كان بالإمكان تلافي شرها بسؤال أهل الاختصاص والخبرة في الواقعة؟! والتأمل في الغرض المرجو منها قبل إذاعتها بين أفراد المجتمع، ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين لا يفكر في مضمون الإشاعة الذي قد يحمل في طياته كذب تلك الإشاعة، بل تراه يستسلم لها وينقاد لها، وكأنها من المسلّمات. ولو أعطينا أنفسنا ولو لحظات في التفكير في تلك الإشاعات لما انتشرت إشاعة أبدًا. فالأخبار التي تتضمن القدح في أحد لا بد من التثبت فيها، وكذلك الأخبار التي توقع الفتن والشور لا بد من التثبت منها^(٢).

ولنا في نبي الله سليمان عليه السلام أسوة حسنة، وموعظة جميلة في بيان عاقبة التثبت ومساهمة في نشر الدين دون إزهاق الأرواح؛ حيث أنه عندما بلغه من الهدهد أنها تسجد وقومها للشمس من دون الله، كانت أول كلمة رد بها عليه السلام على الهدهد: { قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (سورة النمل، الآية: ٢٧)، فلم يجهز الجيوش، ويحمل لهم السلاح، وإنما كان رأيه أن يتثبت وينظر في أمرها قبل أي

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، في المقدمة/ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، د. ط، ١٠/١.

(٢) شرح الموطأ - عبد الكريم الحضير ٤٤ / ٤، بتقييم الشاملة آليًا.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

خطوة يقوم بها، وكان من ثمرة ذلك، دخولها في دين الله طوعًا، ونبذها ما كانت تعبد من دون الله،
رغبة فيما عند الله والدار الآخرة.

** ** *

المبحث الثاني

رفع الحرج والعنت عن الأمة

يقول الله ﷻ: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَا مَنَ اللَّهُ وَنِعْمَةً وَأَلَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ٧، ٨).

هذه الآية الكريمة تعقيبٌ على حادثة الوليد بن عقبة^(١) والحارث بن ضرار^(٢)، وما كاد أن يحصل من الاقتتال بسبب سوء الظن وإشاعة الخبر دون تثبت، فيقول الله ﷻ عن الذين انتدبوا لقتال بني المصطلق: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ} يقول: لو أطاعكم النبي ﷺ حين انتدبتم لقتالهم {في كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ} يعني لأثمتم في دينكم، ثم ذكرهم النعم؛ فقال: {وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ} يعني التصديق {وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} للثواب الذي وعدكم {وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ} يعني الإثم {وَالْعِصْيَانَ} يعني: بعض إيلكم المعاصي للعقاب الذي وعد أهله، فمن عمل بذلك منكم وترك ما نهاه عنه {أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} ^(٣).

وقيل في قوله ﷻ: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ} فيه خمسة تأويلات: أحدها: لأثمتم، الثاني: لأثمتتم، الثالث: لغويتهم. الرابع: هلكتم. الخامس: لنالتكم شدة ومشقة. قال قتادة: "هؤلاء أصحاب النبي ﷺ لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا، فأنتم والله أسخف رأياً وأطيش عقولاً."

{وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ} فيه وجهان: أحدهما: حسنه عندهم. الثاني: بما وصف من الثواب عليه.

{وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} فيه وجهان: أحدهما: بما وعد عليه في الدنيا من النصر، وفي الآخرة من

(١) سبقت ترجمته ص ٩١.

(٢) سبقت ترجمته ص ٩٢.

(٣) البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، ط ١، ٩٣/٤.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الثواب. الثاني: بالدلالات على صحته.

{وَكُرِّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} فيه وجهان: أحدهما: أنه الكذب خاصة. الثاني: كل ما خرج عن الطاعة^(١).

ومن رحمة الله ﷻ إخباره الله تعالى نبيه بأخبار أمته، فلو أطاعكم رسول الله ﷺ فيما تقولون له لنالكم عنت وشدة ومشقة؛ لأنه كان يخطئ في أفعاله، كما لو قَبِلَ من الوليد قوله في بني المصطلق إنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة لغزاهم وأصابهم بالقتل والسبأ وهم براء، فكنتم تقتلون وتسبون من لا يحل قتله ولا سبأؤه، فيدخل عليكم الإثم والمشقة في إخراج الديات والعنت والفساد والهلاك^(٢).

وفي هذه الآية تتجلى لنا رحمة الله تعالى بعباده، وكيف أنه تعالى بوحيه لنبيه ﷺ صان دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وسان دينهم من الإثم والبغي والعدوان، فضلاً من الله ونعمه؛ إذ امتن عليهم بحفظ مقومات حياتهم الدينية والدينية إذا هم التزموا بهذا الدين المتين، فإنه هدى ونور.

ولما كان رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب، وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة. قيل: {إِنْ جَاءَكُمْ} بحرف الشك، وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة؛ لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} إشعاراً بأن بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق، وقوله: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} استدراك ببيان عذرهم، وهو أنه من فرط حبهم للإيمان وكراحتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد، أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم إحماداً لفعالهم وتعريضاً بدم من فعل، ويؤيده قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ}؛ أي أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوي^(٤).

(١) الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، د. ط، ٣٢٩/٥.

(٢) المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط ١، ٦٩٩٦/١١.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣، ٣٦٠/٤.

(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط ١، ١٣٥/٥.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

** ** *

المبحث الثالث

ذكر عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما

إن من أهم عوامل النزاع: طبيعة النفس البشرية، التي جُبلت على حب نفسها، وتعصبها لرأيها، واقتناع الفرد عادة بأفكاره ومبادئه، وربما كراهيته لمخالفه في المبدأ والمنهج، يتولد عن ذلك شعور الإنسان برغبة في التميز والتفرد، مما يدفعه إلى تكوين قناعات خاصة تختلف عن الآخرين، كذلك تفاوت أفهام الناس ومداركهم، بسبب اختلاف بيئاتهم وتنشئتهم، ينتج عن ذلك تنوع مهاراتهم ومعارفهم، وتفاوت قدراتهم العقلية والنفسية، مما يسبب الاختلاف والنزاع، وتلك سنة الله وحكمته، يقول الله ﷻ: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} (سورة هود، الآية: ١١٨).

والاختلاف ينقسم إلى: مقبول، ومذموم؛ فالمقبول ما كان ناشئاً عن تباين في الفهم بسبب إشكال لفظي، أو تعدد دلالات الخطاب، أو الاختلاف في فهم الأدلة الشرعية والعقلية، واستنباط مدلولاتها.

والمذموم ما كان بسبب إتباع هوى، أو تعصب لرأي مذهبي، أو قبلي، دون مراجعة الدليل في ذلك، والعدول عن الحق، مما يؤدي إلى النزاع والتفرق والاختلاف.

"وهذا التقليد المذموم والتعصب الأعمى قد جرَّ ويلات كثيرة على الأمة المسلمة، وأوجب أنواعاً من الفساد كثيرة، منها: التفرق، والاختلاف المخالف للاجتماع، والاتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويجب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن، والهمز، واللمز^(١)، وبعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وبعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله، والاجتماع والاتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله"^(٢).

ولعلي أخص أسباب النزاع فيما يلي:

(١) العيب والوقوع في الناس.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٢٦٩.

(٢) السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنينة ١ / ٧٠.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

١- الجهل: قال تعالى: روى الشاطبي في كتابه "الاعتصام" أنه خلا عمر رضي الله عنه أنه عمر رضي الله عنه خلا ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحد وقبيلتها واحدة؟ - زاد سعيد: وكتابها واحد. قال، فقال ابن عباس ^(١): يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإن كان لهم فيه رأي اختلفوا. وقال سعيد: فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، وقال سعيد: فيكون لكل قوم فيه رأي، اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره علي، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلت. فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه ^(٢).

٢- الابتداع: وعدم الاتباع لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلف الأمة، فقد ذكر صلى الله عليه وسلم من الأحوال التي ستحدث: أنه سيأتي أقوام يهدون بغير هديته، ويستنون بغير سنته، وذكر صلى الله عليه وسلم الدعاة على أبواب جهنم وهم من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال.

كأن حذيفة رضي الله عنه فهم أن الأحوال السابقة من ترك السنة والعمل بالبدعة والدعوة إليها، كفيلا بتمزيق الجماعة المسلمة، وفي حديث يبين صلى الله عليه وسلم أن هذه البدع وهذا الإحداث في الدين يفرق الأمة المسلمة ويوقعها في الاضطراب فتتهز السلطة والقيادة، والذي من شأنه أن يريق دماء المسلمين؛ لذلك يوصينا صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لمن تولى أمر المسلمين واجتمعت عليه كلمتهم، ولو عبداً حبشياً، ما دام أنه يسير بهم بكتاب الله تعالى، فالعلاج الوحيد لما ستقع فيه الأمة - وهي واقعة الآن فيه - من الاختلاف والفرقة؛ هو اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والابتعاد عن هذه الضلالات المفرقة للجماعة.

٣- الجدل والتأويل الفاسد.

٤- الغلو في الدين، أو التعصب المذهبي والطائفي ^(٤).

(١) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٢) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٣) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، ٢/٦٩١.

(٤) السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السننية ١/٦٩.

المبحث الرابع الإصلاح بين المتخاصمين

يقول الله ﷻ: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (سورة الحجرات، الآيتان: ٩٠، ٩١).

المراد بالطائفة: قال عطاء: أقله رجلان. ويقال: طائفة من الناس، وطائفة من الليل (١).

قال الشافعي رحمه الله: "والفيء: الرجعة عن القتال بالهزيمة، أو التوبة وغيرها، وأي حال ترك به القتال فقد فاء" (٢).

وفي الآية مسائل:

"المسألة الأولى: قوله تعالى: { وَإِنْ } إشارة إلى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين، فإن قيل: فنحن نرى أكثر الاقتتال بين طوائفهم؟ نقول: قوله تعالى: { وَإِنْ } إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يقع إلا نادراً.

المسألة الثانية: قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ } ولم يقل: وإن فرقتان؛ تحقيقاً للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل؛ لأن الطائفة دون الفرقة؛ ولهذا قال تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ } (سورة التوبة، الآية: ١٢٢) (٣).

والاختلاف من سجايا بني آدم، والتنازع من جملة عاداتهم؛ وذلك لاختلاف أخلاقهم وطباعهم، وبيئاتهم؛ ولتنافسهم في حظوظ الدنيا من المال والشرف وغيرها، فكان لا بد من وقوع شيء من الخلاف بينهم، ولا يخرجهم ذلك من أن يكونوا من المؤمنين، وقد أمر الله ﷻ بالإصلاح بين المتخاصمين، وما أحوجنا إلى ذلك في زمن كثرت فيه الصراعات والنزاعات، ووقعت الضغينة

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط ٣، ٩/٢٢٦.

(٢) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي، ط ١، ٣/١٢٧٢.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط ١، ٢٨/١٠٤.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

والجفاء حتى بين الأهل والأقارب والجيران.

وما ذلك إلا دليل نقصهم، فهم غير منزهين، وجميعهم خطّائين، ولا ينزع ذلك عنهم مسمى الإيمان، ولكن ينقص ذلك من إيمان من بغى بقدر بغيه وتجاوزه، فهذا الإسلام قوته في الودّ بين أبنائه، قوته في التعاون، قوته في التضامن، لذلك وعد الله ﷻ بالأجر العظيم لمن يصلح بين المتخاصمين ابتغاء ما عند الله ﷻ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة"، قالوا: بلى، قال: "صلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة"^(١).

وقال الله ﷻ: {الْأَخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (سورة النساء، الآية: ١١٤).

فنحن نرى كثيراً ما يحصل نزاع بين شخصين أو أكثر، وربما قتل أحدهما صاحبه عند الغضب، رغم ما بينهما من حب ومودة، ثم تحقن الدماء بالإصلاح بينهم، فما عفوهم إلا نتاج إيمانهم وصبرهم، واستشعارهم لرابطة الأخوة بينهم.

ماذا لو لم يعف المسلم عن أخيه؟! ما قيمة العقيدة الصحيحة؟ وما قيمة العبادات؟ وما قيمة هذه الشعائر التي نمارسها جميعاً، إذا كانت القلوب ممتلئة بالبغضاء، والحقد، والحسد، والاستعلاء؟ لذلك: إصلاح ذات البين جزءٌ أساسيٌّ من الدين، وجزء أساسي في حماية الأنفس من أن تلقي بأيديها إلى التهلكة.

واختلف في سبب هذه الآية؛ فقال أنس بن مالك^(٢) والجمهور: سببها ما وقع بين المسلمين والمتحزبين، منهم مع عبد الله بن أبي ابن سلول حين مرّ به رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه. فقال عبد الله بن أبيّ لما غشيه حمار رسول الله ﷺ: لا تغبروا علينا، ولقد

(١) الترمذي، الجامع الكبير - سنن الترمذي، باب في إصلاح ذات البين، رقم الحديث ٤٩١٩، د. ط، ٢٤٤/٤، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في رحم الصغير وتوقير الكبير ٤٢٨/١٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، حليف عثمان ابن عبيد الله التيمي القرشي المدني، سمع منه ابنه مالك. انظر: البخاري، التاريخ الكبير، د. ط، ٣٠/٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

آذانا نتن حمارك. فرد عليه عبد الله بن رواحة... الحديث بطوله. فتلاحي^(١) الناس حتى وقع بينهم ضرب بالجريد - ويروى: بالحديد - .

وقال أبو مالك والحسن سببها: أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال، فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جهد، ونزلت الآية في ذلك.

وقال السدي: كانت بالمدينة امرأة من الأنصار يقال لها: أم بدر، ولها زوج من غيرهم، فوقع بينهما شيء أوجب أن يأنف لها قومها وله قومه، فوقع قتال نزلت الآية بسببه^(٢).

وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعا، وتناول بعضهم بعضًا بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف^(٣).

قال التستري: "ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة؛ فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح فليقاتله العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة؛ ليكون الروح والعقل غالبًا، والهوى والشهوة مغلوبًا"^(٤).

فهذه الآي ونظائرها مقتضية لإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي على منازل أولها: تغييره باليد إذا أمكن، فإن لم يمكن وكان في نفيه خائفًا على نفسه إذا أنكره بيده فعليه إنكاره بلسانه، فإن تعذر ذلك لما وصفنا؛ فعليه إنكاره بقلبه^(٥).

*** ** **

(١) تلاحي: لحيت الرجل ألحاه لحياً، إذا لمته وعذلته، ولاحيته ملاحاة ولحاء، إذا نازعته.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٢٤٣.

(٢) الحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١، ١٤٨/٥.

(٣) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ط ١، ٣٤٠/٧.

(٤) التستري، تفسير التستري، ط ١، ١٤٩/١.

(٥) الجصاص، أحكام القرآن، د. ط، ٣١٥/٢.

المبحث الخامس

علاج مشكلة النزاع بين المسلمين،

والقضاء على أسباب الخلاف، وترضية المتخاصمين

قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تِ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (سورة الحجرات، الآية: ٩٠).

قيل: "وذلك رجلان يقتتلان من أهل الإسلام، أو النفر والنفر، أو القبيلة والقبيلة، فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحق الذي أنزل الله في كتابه، إما القصاص^(١) والقود، وإما العير، وإما العفو، فإن بغت إحداها بعد ذلك على الأخرى كان المسلمون مع المظلوم على الظالم، حتى تفيء إلى حكم الله وترضى به"^(٢).

وقد سماهم الله تعالى "المؤمنين"، وأمر بالإصلاح بينهم، فحق على كل أحد دعاء المؤمنين إذا افترقوا وأرادوا القتال، أن لا يُقاتلوا حتى يُدعوا إلى الصلح^(٣).

وعن ابن عباس^(٤) قال: "فإن الله سبحانه أمر النبي ﷺ والمؤمنين إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين أن يدعوهن إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب؛ فهو باغ^(٥)، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم

(١) القصاص: القصاص في الجراحات والحقوق، شيء بعد شيء، يقال: اقتص من فلان، والاستقصاء أن يطلب أن يقص ممن جرحه، واستقصه: سأله أن يقصه منه. وتقاص القوم، إذا قاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره. ويقال: ضربه حتى أقصه من الموت، أي أدناه منه. وقصصت الشعر: قطعته.

ينظر: العين ١٠/٥، تهذيب اللغة ٢١٠/٨، الصحاح تاج اللغة، للجوهري ١٠٥٢/٣.

(٢) القرشي، تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ط ١، ١٠/١.

(٣) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي، ط ١، ١٢٧٢/٣.

(٤) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٥) بغى يبغي بغاءً - بالضم - إذا طلب.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله" (١).

إن من أعظم أسباب حفظ النفس ودرء الفتنة: العدل في القول، والتثبت في الأمور، ألم يقل الله **عَلَيْكُمْ**: {أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}، وينبغي العدل في القول والحكم حتى بيننا وبين أعدائنا، فلو كان الطرف الآخر خصم وعدو لنا أمرنا الله أن نعدل، قال تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} (سورة المائدة، الآية: ٨)، لو كان عدوًا لوجب أن نعدل، فكيف لو كان فيهم مسلمون، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن **عَلَيْكُمْ** بما أفسطوا في الدنيا" (٢).

وقيل: "العدل قوام الدين والدنيا" (٤)، ويستفاد من هذا النص الكريم أنه قبل القتال يجب العمل على جمع القلوب المتفرقة، وتحري أسباب التقاتل بين الطائفتين، فإن أمكن إزالة أسباب الخصام فإنه بهذا يستقر السلام، وإن تبين الظلم من إحدى الطائفتين كانت الباغية، وحلّ قتالها، وكان القتال فرضًا كفائيًا على المؤمنين، يعاونون العادل، ويدفعون الآثم.

وتدل ثانيًا: على أن القتال له غاية، وهو أن تعود إلى أمر الله تعالى ويستقيم أمرها على جادة العدل، فلا يؤسر منهم أسير، وبالتالي لا يسترق منهم، ولا تنهب أموالهم، ولا يجهز على جريحهم، وبذلك يحفظ دينهم، وأموالهم، وأنفسهم، وحرماهم.

وتدل ثالثًا: على أنها إن عادت إلى صفوف المؤمنين تعامل بالعدل، ولا تعامل بالانتقام، فليست

= ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١٤٣، المغرب في ترتيب المغرب ص: ٤٨.

واصطلاحًا: خروج طائفة على الإمام على التأويل وخالفوا الجماعة، فإن لم يكن لهم منعة فلإمام أن يأخذهم ويحبسهم.

ينظر: السمرقندي، تحفة الفقهاء، ط ٢/ ٣/ ٣١٣، الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط ٢/ ٧/ ١٤٠.

(١) الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ١، ١، ٣٥٧.

(٢) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص، أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، توفي بمصر سنة ٩٦ هـ انظر: ابن سعد،

الطبقات الكبرى - متمم التابعين - مخرجًا، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ط ٢، ١/ ٩٢.

(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ط ١، ٤/ ١٠٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجاه جميعًا. ورواه أحمد في مسنده،

مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص **عَلَيْكُمْ**، رقم الحديث ٦٤٨٥، ط ١، ١١/ ٢٤.

(٤) ابن العربي، أحكام القرآن، ط ٣، ٤/ ١٥٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

بينها وبين الحاكم خصومة، إنما بينهما الأخوة الجامعة؛ ولذلك عقب ذكر العقوبة بقوله تعالى: {إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٠).^(١)

** ** **

(١) انظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، د. ط، ١/٣٤٨.

المبحث السادس

رابطة الإخاء والود بين المؤمنين

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (سورة الحجرات، الآية: ١٠).

ولأجل حفظ النفس، والحفاظ على رابطة الدين قوية متينة، كان لابد من التذكير بالأخوة الإيمانية، فعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"^(١).

فالمقصود: أخوة الدين وولايته^(٢)؛ أي منتسبون إلى أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، فيجب الاجتهاد في التآلف بينهما لتحقيق الأخوة. والفاء في قوله: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} للإيدان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح^(٣).

وقيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع لمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب^(٤). وإنما المؤمنون إخوة في الدين فأصلحوا بينهم إذا اقتتلوا بأن تحملوهم على حكم كتاب الله ﷻ^(٥).

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعبادة مرضاهم، وشهود جنائزهم. ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب^(٦).

فإذا كان المؤمنون إخوةً أمروا فيما بينهم بما يُوجب تآلف القلوب واجتماعها، وهُوَ عمَّا يوجبُ

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث: ٤٨١، ط ١، ١٠٣/١. ومسلم، صحيح

مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث ٢٥٨٥، ط ١، ١٩٩٩/٤.

(٢) الماتريدي، تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة، ط ١، ٤٢٦/٥.

(٣) الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، د. ط، ٤٢٤/٥.

(٤) التعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط ١، ٧٩/٩.

(٥) المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط ١، ٧٠٠١/١١.

(٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣، ٥٢٥/٢.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

تنافر القلوب واختلافها، وأيضاً: فَإِنَّ الْأَخَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَصِّلَ إِلَى أَخِيهِ النَّفْعَ، وَيَكْفَّ عَنْهُ الضَّرَرَ^(١).

وقيل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} "أي حالهم لا يعدو الأخوة الدينية إلى ما يصادفها؛ {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ} بإيصال المظلوم إلى حقه، وبدفع إثم الظلم عن الظالم"^(٢).

روي أن النبي ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يُسَلِّمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"^(٣).

قال السعدي: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يجب له المؤمنون ما يجبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم، ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم؛ كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفريق القلوب وتباغضها وتدابرها، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنائهم.

ثم أمر بالتقوى عموماً، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة؛ فقال: {الْعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ} وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة.

وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم:

- أن الاقتتال بين المؤمنين منافي للأخوة الإيمانية؛ ولهذا كان من أكبر الكبائر.

- وأن الإيمان والأخوة الإيمانية لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك،

(١) ابن رجب، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، ط ١، ٢٨٨/٢.

(٢) النيسابوري، غرائب القرآن ورفائب الفرقان، ط ١، ١٦٤/٦.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث ٢٤٤٢، ط ١، ١٢٨/٣. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم، رقم الحديث: ٢٥٨٠، د. ط، ١٩٩٦/٤.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

- وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة.
- وعلى وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل.
- وعلى وجوب قتال البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله.
- وعلى أنهم لو رجعوا لغير أمر الله، بأن رجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه؛ أنه لا يجوز ذلك.
- وأن أموالهم معصومة؛ لأن الله أباح دمائهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم^(١).

** ** **

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١، ١/٨٠٠.

المبحث السابع حرمة المسلم

قال تعالى: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (سورة الحجرات، الآية: ١١، ١٢).

السُّخْرُ: الهزاء، قيل: وهو النظر إلى المسخور بعين النقص، وقيل: إنَّ السخرية - وهي اسم منه - الاستحقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه ^(١).

قال ابن عباس ^(٢): نزلت في ثابت بن قيس ^(٣)، وذلك أنه كان في أذنه وَقْرٌ، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ، وقد سبقوه بالمجلس، أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم، وقد فاته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم [منه، فربض] كل رجل بمجلسه، فلا يكاد يوسع أحد لأحد، فكان الرجل إذا جاء، فلم يجد مجلسًا، قام قائمًا، كما هو.

فلما فرغ ثابت من الصلاة، وقام منها، أقبل نحو رسول الله ﷺ فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح. فقال له الرجل: قد أصبت مجلسًا، فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبًا، فلما أبيت الظلمة، غمز ثابت الرجل، وقال: من هذا؟ قال: أنا فلان. فقال له ثابت: ابن فلانة. ذكر أمًا له كان يعير بها في الجاهلية. فنكس الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

وروي أنها نزلت في وفد تميم - الذين ذكرناهم في صدر السورة -، استهزءوا بفقراء أصحاب

(١) السائس، تفسير آيات الأحكام، ٧٠٧/١.

(٢) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٣) أبو الغصن، اسمه ثابت بن قيس، مولى لبني غفار من كنانة، مات سنة ١٦٨ هـ، وهو ابن ١٠٥ سنين، كان شيخًا قليل الحديث. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى - متمم التابعين - مخرجًا، ط ٢، ٤٣١/١.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رسول الله ﷺ، مثل عمّار، وخباب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله سبحانه في الذين آمنوا منهم: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ} (١).

وتحتمل السخرية المذكورة في الآية وجهين:

أحدهما: في الأفعال، يقول: {لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ} في الأفعال {عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ} في النية في تلك الأفعال أو {خَيْرًا مِّنْهُمْ}؛ أي: أفعالهم أخلص عند الله من أفعال أولئك، وأقرب إلى القبول.

والثاني: سخرية في الخلق، وذلك راجع إلى منشئها، لا إليهم، وهم قد رضوا بالخلق التي أنشئوا عليها، وعسى أن يكونوا هم على تلك الخلق عندهم خيراً منهم.

ثم قوله ﷻ: {عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ} يحتمل وجهين:

أحدهما: عسى أن يصيروا من بعدهم خيراً من تلك الأحوال والأفعال التي هم عليها اليوم.

والثاني: عسى أن يكونوا هم عند الله خيراً منهم في الحال؛ كقوله ﷻ: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَرُكُمْ}؛ أخبر أن الأكرم منهم عند الله تعالى هو أتقاهم، لا ما افتخروا بما هو أسباب الفخر عندهم (٢).

واللمز: هو الطعن. ثم منهم من يقول: هو الطعن باللسان. ومنهم من يقول: بالشّدق والشّفة. ومنهم من يقول: بالعين؛ وحاصله هو الطعن فيه.

وقيل: اللمز: هو العيب؛ أي: لا تعيبوا.

وقال ثم قوله ﷻ: {أَنفُسِكُمْ} يحتمل وجهين:

أحدهما: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ} أي: تذكروا مساوي أنفسكم عند الناس.

وفيه الأمر بالستر عليهم وعلى أنفسهم، وألا يهتكوا سترهم، والله أعلم.

وقوله ﷻ: {وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ} أي: لا تدعوا بالألقاب، والنبز: اللَّقْبُ؛ يقال: نبزت فلاناً:

أي: لَقَبْتَهُ.

(١) التعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط ١، ١٠/٩.

(٢) الماتريدي، تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة، ط ١، ٣٣٣/٩.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

قال بعض أهل التأويل: إنما نھوا عن ذلك؛ لأنهم يسمونهم بعد إسلامهم بالأفعال التي كانوا يفعلون في حال جاهليتهم من الكفر والفسوق، ويلقبونهم بذلك^(١).

ويقال: ما استصغر أحد أحدًا إلا سلط عليه. ولا ينبغي أن يعتبر بظاهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا، والحق يستر أوليائه في حجاب الضعة^(٢).

وقد نهى الله ﷻ عن سوء الظن والغيبة والتجسس: {بِتَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} (سورة الحجرات، الآية: ١٢).

قوله تعالى: {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} يعني: معصية أي: إن ظن السوء بالمسلم معصية.

وقيل: "الظن ظنان؛ ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه. فالظن الذي فيه إثم: أن يظن ويتكلم به. وأما الظن الذي لا إثم فيه: فهو أن يظن، ولا يتكلم به"^(٣).

ثم قال: {وَلَا يَجَسَّسُوا} يعني: لا تطلبوا، ولا تبحثوا عن عيب أخيك، {وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا}.

وقيل في قوله تعالى: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} تمثيل لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه، ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعًا وعقلًا وشرعًا، مع مبالغات من فنون شتى؛ الاستفهام التقريري من حيث إنه لا يقع إلا في كلام هو مسلم عند كل سامع حقيقة أو ادعاء، وإسناد الفعل إلى (أحد) إيدانًا بأن أحدًا من الأحدين لا يفعل ذلك، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتيا بأكلم لحم الإنسان، وجعل المأكول أحمًا للآكل وميتًا.

وتعقيب ذلك بقوله تعالى: {فَكَرِهْتُمُوهُ} حملًا على الإقرار، وتحقيقًا لعدم محبة ذلك، أو لمحبه التي لا ينبغي مثلها، وفي «المثل السائر»: كني عن الغيبة بأكل الإنسان للحم مثله لأنها ذكر المثالب

(١) الماتريدي، تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة، ط ١، ٩/٣٣٤.

(٢) القشيري، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ط ٣، ٣/٤٤٢.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في سوء الظن، رقم الحديث ١٩٨٨، ط ٢، ٤/٣٦٥.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وتمزيق الأعراض المماثل لأكل اللحم بعد تمزيقه في استكراه العقل والشرع له، وجعله ميتا لأن المعتاب لا يشعر بغيبته، ووصله بالمحبة لما جبلت عليه النفوس من الميل إليها مع العلم بقبحها^(١).

تأمل كيف مثل الاغتياب بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك، حتى جعله لحم الأخ، ولم يقتصر على لحم الأخ... فأما تمثيل الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله، فشديد المناسبة جدا، وذلك لأن الاغتياب إنما هو ذكر مثالب الناس، وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه؛ لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة، ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله، إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه، وهذا القول مبالغة في الاستكراه، لا أمد فوقها، وأما قوله مَيِّتًا فلأجل أن المعتاب لا يشعر بغيبته، ولا يحس بها^(٢).

لقد حرم الله ﷻ كل ما من شأنه زعزعة الكيان الإسلامي، أو التفريق بين أفراده، ولا يخفى على أحد ما قد تورثه الغيبة أو الهمز واللمز من وِعْرٍ في الصدور، وحقد وغل على إخوانهم المسلمين، ولحرمة المسلم وحرمة دمه وعرضه، حذر عزو جل من هذه الصفات، وشبه مرتكبها بأشنع مثال، حتى يتجنبوا الوقوع فيها، ويحافظوا على حرمتهم وأعراضهم، فهم أخوة وهم جسد واحد، فالسخرية والهمز واللمز والغيبة وغيرها مما حذر الله منه، إنما تضر أولاً وأخيراً مرتكبها، نسأل الله السلامة.

** ** **

(١) الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، ١٣ / ٣٠٩.

(٢) البدوي، من بلاغة القرآن، د. ط، ١ / ١٧٣.

المبحث الثامن

مبدأ الإخاء الإنساني والمساواة بين الشعوب

قال تعالى: {يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات، الآية: ١٣).

قال ابن عباس^(١): نزلت في ثابت بن قيس^(٢) وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، فقال رسول الله ﷺ: «من الذاكر فلانة؟». فقام ثابت، فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «انظر في وجوه القوم». فنظر إليهم، فقال: «ما رأيت يا ثابت؟»، قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر. قال: «فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى»^(٣).

قصد بهذه الآية النهي عن التفاخر بالأنساب، وبين التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى؛ يعني آدم وحواء. ثم قال: {وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} فبين أن الشعوب والقبايل للتعارف لا للافتخار، وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشعوب: النسب الأبعد، والقبايل: النسب الأقرب، وسموا شعوباً؛ لأن القبائل تشعبت منها.

الثاني: أن الشعوب: عرب اليمن من قحطان، والقبيلة: ربيعة ومضر وسائر عدنان.

الثالث: أن الشعوب: بطون العجم، والقبايل: بطون العرب.

"وقصد هذه الآية التسوية بين الناس، ثم قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} أي لتلا تفاخروا ويريد بعضكم أن يكون أكرم من بعض. فإن الطريق إلى الكرم غير هذا: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ} وروى أبو بكر^(٤): قيل يا رسول الله: من خير الناس؟ قال: "من طال عمره وحسن

(١) سبق ترجمته ص ٥٥.

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن امرئ القيس بن مالك بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث. انظر: ابن قانع، معجم الصحابة، ط ١، ١٢٦/١.

(٣) الثعلبي، المرجع السابق، ٨٦/٩.

(٤) سبق ترجمته ص ٦٧.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

عمله" (١)(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (٣).

يقول سيد قطب: "يا أيها المختلفون أجناسًا وألوانًا، المتفرقون شعوبًا وقبائل؛ إنكم من أصل واحد. فلا تختلفوا ولا تفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددًا.

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم {مَنْ ذَكَرِ وَأُنْثَى} وهو يطالعكم على الغاية من جعلكم {شُعُوبًا وَقَبَائِلَ}، إنما ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس:

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ}، والكريم حقًا هو الكريم عند الله، وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازن: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد.

كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله، وهذا هو اللواء الذي

(١) أخرجه الترمذي في السنن، رقم ٢٣٣٠، أبواب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، رقم الحديث ٢٣٢٩، ١٤٣/٤. وقال حديث حسن صحيح.

(٢) المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١، ١٥٢/٥.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المؤمن وخذله، رقم الحديث ٢٥٦٤، د. ط، ١٩٨٧/٤.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت. وكلها من الجاهلية وإليها، تنزياً بشتى الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء. وكلها جاهلية عارية من الإسلام! وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله. لا راية الوطنية، ولا راية القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس. فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام... وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة»^(١)، وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي^(٢).

*** *** ***

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، رقم ٤٩٠٧، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ)، رقم الحديث ٤٩٠٧، ط ١، ١٥٤/٦، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث ٢٥٨٤، د. ط، ١٩٩٨/٤.

(٢) الشاربي، في ظلال القرآن، ط ١٧، ٣٣٤٩/٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد فمن خلال الدراسة المتأنية للمقاصد القرآنية التي تضمنتها سورة الحجرات، يظهر لنا بعض النتائج التي رأينا أهمية الإشارة إليها، إلى جانب بعض التوصيات التي لاحت لنا بعد العيش مع المباحث المقاصدية التي تضمنتها تلك السورة.

أولاً- النتائج:

- ١- اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بعلم المقاصد الشرعية.
- ٢- شدة الحاجة في هذا العصر خاصة للوقوف على المقاصد القرآنية من خلال سور القرآن الكريم، خاصة مع كثرة ما يوجه للإسلام متمثلاً ذلك في منبعية من اتهامات.
- ٣- احتوت سورة الحجرات على الكثير من المقاصد الشرعية التي بها صلاح الفرد والمجتمع.
- ٤- كمال العبودية والإخلاص لله ﷻ إنما يكون بالتأدب بآداب الربوبية، والوفاء بعهد الألوهية.
- ٥- ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، وهذا من جمال القرآن الكريم، وصور الإعجاز فيه.
- ٦- تضمنت سورة الحجرات للعديد من الآداب التي يجب على المسلم التأدب بها مع الله، ومع رسوله ﷺ.
- ٧- بيان السورة للعديد من أسماء الله تعالى وصفاته.
- ٨- عدت السورة جملة من فضائل النبي ﷺ.
- ٩- ذكرت سورة الحجرات عددًا من الحقوق التي تجب للنبي ﷺ على أمته.
- ١٠- بينت السورة دخول الأعمال في مسمى الإيمان والإسلام.
- ١١- دائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان والإحسان.
- ١٢- أعمال القلوب أصل من أصول الإيمان بالله ﷻ.
- ١٣- من الأسباب الرئيسية لتفريق الأمة وتشردمها: عدم اعتصامها بالكتاب والسنة، متجلبًا ذلك في تقديم الأهواء والآراء على نصوص الشرع وأحكامه.
- ١٤- حرمة الخروج على ولي الأمر؛ حفظاً للدين، وحقناً للدماء، وصوناً للأعراض والممتلكات،

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

- ووجوب الاقتداء بما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ من الأدب والسمع والطاعة.
- ١٥- جرمت السورة الكريمة مروجي الإشاعات دون تثبت؛ حيث وصفتهم بأقبح الأوصاف وأشنعها.
- ١٦- عددت السورة جملة عظيمة من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده، وبيان سماحة شرع الله تعالى ودينه.
- ١٧- العصبية العمياء سبب عظيم من أسباب التقاتل والتناحر وظهور الفساد العريض في المجتمعات.
- ١٨- معالجة السورة لقضية النزاع والشقاق بين الأفراد والدول من خلال منهج قرآني رباني حكيم.
- ١٩- الأخوة الإيمانية أعلى وأعظم من أخوة النسب.
- ٢٠- إصلاح ذات البين جزءٌ أساسيٌّ من الدين، وجزء أساسي في حماية الأنفس من أن تلقي بأيديها إلى التهلكة.
- ٢١- عظم حرمة الدم الإنساني عامة، ودم المسلم خاصة.
- ٢٢- قبح التفاخر بالأحساب والأنساب.

ثانيًا- التوصيات:

- ١- الاهتمام بعلم المقاصد الشرعية من قبل العلماء وطلبة العلم؛ إذ لا يعدم الباحث من الإشارات الهامة في هذا الحقل المقاصدي لتحقيق شروط الاجتهاد فيهم على الكمال، والتي من أهمها معرفة مقاصد الشرع على وجهها الصواب.
- ٢- على الباحثين في الحقل المقاصدي أن يخصصوا بعضًا من أبحاثهم المقاصدية فيما يتعلق بالأحكام بما يتناسب مع العصر، ويراعي مخاطبة أهله؛ لما في ذلك من الفوائد المرجوة من حيث تعريف الناس بمحاسن شريعتهم، لا سيَّما مع الهجمات الشديدة على الشريعة الإسلامية في عصرنا.
- ٣- على طلبة العلم وخاصة مرحلي الماجستير والدكتوراه الاهتمام بالدراسة القرآنية للقرآن الكريم، ومنها الدراسة المقاصدية من خلال سورة القرآن الكريم.
- ٤- الاهتمام باستنباط الأساليب التربوية واستخدامها في التعليم، وذلك لتناسبها مع الفطرة الإنسانية، ولينشأ الجيل على ما ربي رسولنا ﷺ عليه أصحابه.

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

** ** *

الفهارس العامة

وتشتمل على:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- المصادر والمراجع.

فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢- البقرة		
٦٣	[٣٠]	{إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}
٥٣	[٣٥]	{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}
٥٢	[١٤٣]	{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}
٧٩	[١٧٧]	{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ}
٨٤	[٢٦٤-٢٦٢]	{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...}
٧٩	[٢٨٥]	{ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ}
٣- آل عمران		
٧٩	[١٩]	{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}
٥٧	[٣١]	{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}
٥٣	[٥٥]	{إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِزْ إِيَّيْ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ}
١٠	[١٠٣]	{وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}
٥٢	[١١٠]	{كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٨٤	[١٦٤]	{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }
٤ - النساء		
٥٩	[٥٩]	{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ...}
٩٣	[٨٣]	{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ^ط وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ...}
٨٤	[٩٤]	{كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ^٥ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }
١٠١	[١١٤]	{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ...}
٥ - المائدة		
٩	[٣]	{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }
١٠٤	[٨]	{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ^ط أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ^ط }
٤٥	[٩]	{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا }
٦٣	[٤٩]	{وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ }
٥٣	[٦٧]	{يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ }

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٨- الأنفال		
٧٩، ٨١	[٢-٤]	{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...}
٥٧	[٢٠]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ }
٩- التوبة		
٥٨	[٢٤]	{ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ...}
١٥	[٤٢]	{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكُ }
٧٩	[٦٠]	{إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ }
١٠٠	[١٢٢]	{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ }
١٠- يونس		
١٠	[٣٨]	{فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ }
١١- هود		
٤٣	[١]	{كُنْتُ أَحْكَمَ آيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ }
٩٨	[١١٨]	{وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ... }
١٤- إبراهيم		
٨٤	[١١]	{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُمْنُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٦ - النحل		
١٥	[٩]	{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}
٨	[٨٩]	{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ^ط وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ...}
١٨ - الكهف		
٥٧	[٦]	{فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَآثِرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا...}
٧٩	[٧٩]	{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ}
١٩ - مريم		
٥٣	[٧]	{يَنزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أُسْمُهُ يَحْيَىٰ...}
٥٣	[١٢]	{يَنحِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ^ط وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}
٢٠ - طه		
٨٤	[٣٧]	{وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ}
٢١ - الأنبياء		
٥٢	[١٠٧]	{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}
٢٤ - النور		
٩١	[١٢]	{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٥ - الفرقان		
٦	[٢]	{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾}
٦	[٥٤]	{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا...}
٢٧ - النمل		
٥٣	[٩]	{يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
٩٤	[٢٧]	{قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}
٢٨ - القصص		
٨٤	[٥]	{وَرِيدٌ أَن تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}
٣١ - لقمان		
٦٢	[١٩]	{وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ...}
٣٣ - الأحزاب		
٥٣ ٥٤	[٦]	{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}
٥٣	[٤٥]	{يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}
٣٥ - فاطر		
٧٦	[٣٢]	{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ...}

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٧- الصفات		
٨٤	[١١٤]	{وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ}
٤٨- الفتح		
٥٢	[٩-٨]	{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعْزِزُوهُ وَتُقَرِّرُوهُ وَتَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}
٤٤	[٢٩]	{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...}
٤٩- الحجرات		
٤٩، ٣٨، ٥٦، ٥٥، ٥٧	[١]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...}
٤٩	[٣-٢]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...}
٦٠، ٣٨، ٦٨، ٦٢	[٢]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...}
٦٨	[٣]	{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ...}
٦١	[٤]	{إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...}
٤٦، ٨٩، ٤٩، ٩٠، ٩٣، ٩١، ١٠٤	[٦]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ مِنْ بَنِي فَاسِقٍ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَدْمِيمًا}

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٦، ٩٦،٩٥	[٧]	{وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ...}
٩٣	[٨]	{فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}
١٠٠	[٩-١٠]	{وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنُ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى...}
٤٩، ١٠٣	[٩]	{وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...}
٤٩،٤٤ ٨٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧	[١٠]	{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ...}
٥٠ ١٠٩	[١١-١٢]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِّن قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...}
١١٠ ١١١	[١١]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِّن قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ...}
١١١	[١٢]	{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا...}
٥٠،٤٦ ١١٠ ١١٣ ١١٤	[١٣]	{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ...}

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٧٢، ٧٤ ٧٨، ٧٧	[١٤]	{قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...}
٧٥	[١٥-١٧]	{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...}
٧٢، ٨١، ٧٥	[١٥]	{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...}
٧٥	[١٦]	{قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ...}
٥٠، ٤٦، ٨٣، ٧٥ ٨٤	[١٧]	{يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}
٣٥، ٨٦، ٤٦	[١٨]	{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...}
٥٠ - ق		
٤٦	[١]	{قَفَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}
٤٧	[٢]	{بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ...}
٤٧	[٦]	{أَفَأَنْتُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ...}
٤٧	[١٢]	{كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ}
٤٧	[٤٥]	{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ}

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥٢- الطور		
٨٤	[٢٧]	{فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ}
٥٤- القمر		
٦	[٤٩]	{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾}
٥٨- المجادلة		
٨١	[٢٢]	{لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ...}
٦٤- التغابن		
٥٧	[٨]	{فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا ...}
٦٨- القلم		
٩	[٤]	{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾}
٧٢- الجن		
٥٩	[٢٢-٢١]	{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٣١﴾ قُلْ إِنِّي ...}
٧٤- المدثر		
٥٣ ٧٥، ٧٢	[١]	{رَبَّنَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ}

*** ** **

فهرس الأحاديث

م	الحديث	رقم الصفحة
٠١	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	٧٣
٠٢	أعطى النبي ﷺ رجلاً، ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد: يا نبي الله، أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ...	٧٢
٠٣	أعطيت خمساً لم يُعْطهنَّ أحد قبلي: كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، ويُبعث إلى كل أحرر وأسود	٥٢
٠٤	اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم. فقالوا: إذن قد صدقناك كما تقول، ولكن تكتب: باسمك اللهم...	٦٤
٠٥	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة	١٠١
٠٦	ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً...	٥٣
٠٧	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	١١٤
٠٨	إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن ﷻ بما أقسطوا في الدنيا	١٠٤
٠٩	إن ناساً كانوا يقولون: لولا أنزل في كذا، لولا أنزل في كذا. وقال الحسن: هم قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ؛ فأمرهم النبي فأعادوا الذبح	٥٥
٠١٠	أن نبي الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصدقاً لبني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهاجمهم، فرجع إلى النبي ﷺ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام	٩٢
٠١١	الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق	٧٥
٠١٢	بيننا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرّحل. فقال: يا معاذ بن جبل. قلت: لبيك رسول الله وسعديك...	٦٥
٠١٣	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم...	٨٤
٠١٤	خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية... ثم إن عروة ﷺ جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة...	٦٧

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	الحديث	م
٦٧	خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: أتدرون أي يوم هذا؟، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه...	.١٥
٥٤	دعانا النبي ﷺ، فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا...	.١٦
١١٥	دعوها فإنها منتنة	.١٧
٦٦	قدم رسول الله ﷺ المدينة فنزل على أبي أيوب، فأُنزل رسول الله ﷺ السُّقْل، ونزل أبو أيوب العلو، فلما أمسى وبات، فجعل أبو أيوب يذكر أنه على ظهر بيت رسول الله ﷺ أسفل منه...	.١٨
٩٢	قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أأرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة...	.١٩
٩٠	كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأَيُّهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه...	.٢٠
٩٣	كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع	.٢١
٥٦	كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟	.٢٢
٥٨	لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين	.٢٣
٥٨	متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله	.٢٤
٦٦	مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسلم يَنْتَضِلُونَ، فقال النبي ﷺ: ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان...	.٢٥
١٠٧	المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة...	.٢٦
١١٣	من الذَّاكر فلانة؟. فقام ثابت، فقال: أنا يا رسول الله. فقال: انظر في وجوه القوم. فنظر إليهم، فقال: ما رأيت يا ثابت؟...	.٢٧
٥٧	من رغب عن سنتي فليس مني	.٢٨

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	الحديث	م
٥٥	من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً مات... .	.٢٩
٩٢	منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟	.٣٠
١٠٦	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	.٣١
٦١	يا أبا عمرة، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟...	.٣٢

** ** *

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم	م
٤٢	ابن الخطيب	.١
١٦	ابن تيمية	.٢
٨	ابن عاشور	.٣
٦	ابن قيم الجوزية	.٤
٦٦	أبو أيوب الأنصاري	.٥
٦٠	الأقرع بن حابس	.٦
٧	الأمدي	.٧
١٠١	أنس بن مالك	.٨
١٠٩	ثابت بن قيس أبو الغصن	.٩
١١٣، ٦٠	ثابت بن قيس بن شماس	.١٠
٧	الجويني	.١١
٩٢	الحارث بن ضرار	.١٢
٣٦	الزركشي	.١٣
٦١	سعد بن معاذ	.١٤
٦٥	سلمة بن عمرو بن الأكوع	.١٥
٨	الشاطبي	.١٦
٨	الطوفي	.١٧
٥٤	عبادة بن الصامت	.١٨
٦٠	عبد الله بن الزبير بن العوام	.١٩
٦٠	عبد الله بن عمر	.٢٠
٦٣	عبد الله بن سهيل	.٢١
٥٥	عبد الله بن عباس	.٢٢
١٠٤	عبد الله بن عمرو بن عثمان	.٢٣

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

رقم الصفحة	العلم	م
٧	العز بن عبد السلام	.٢٤
٧	الغزالي	.٢٥
٧	الفخر الرازي	.٢٦
٧	القراقي	.٢٧
٥٦	مجاهد بن جبر	.٢٨
٦٧	المسور بن مخزومة	.٢٩
٦٥	معاذ بن جبل	.٣٠
٦٧	نفيع بن الحارث	.٣١
٩١	الوليد بن عقبة	.٣٢

** ** *

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشباني الجزري، عز الدين، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، (د. م: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
٢. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشباني الجزري، عز الدين، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، (د. م: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
٣. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، د-ط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م (المكتبة العلمية - بيروت).
٤. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو، تقي الدين، **طبقات الفقهاء الشافعية**، ط ١، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢ م).
٥. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو، تقي الدين، **طبقات الفقهاء الشافعية**، ط ١، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢ م).
٦. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي الملكي، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرّج أحاديثه: محمد عبد القادر عطا، ط ٣، (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م).
٧. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي الملكي، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرّج أحاديثه: محمد عبد القادر عطا، ط ٣، (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م).
٨. ابن الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، العدة في أصول الفقه، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المبارك، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - ط ٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية،

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

٩. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، ط ١، ١٤٢٣هـ (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية).
١٠. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط ٢، (الكويت: دار العروبة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
١١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط ٢، (الكويت: دار العروبة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
١٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، (د. م: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د. ت).
١٣. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د. ط، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
١٤. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١، (د. م: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د. ت).
١٥. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د. ط، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
١٦. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥، (عمان - الأردن: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

١٧. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥، (عمان - الأردن: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
١٨. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، (مكتبة الخانجي، القاهرة).
١٩. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان اليرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٠٠م (دار صادر - بيروت).
٢٠. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، (بيروت: دار صادر، د. ت).
٢١. ابن دريد، جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي
٢٢. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط ١، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٢٣. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، الطبقات الكبرى - متمم التابعين - مخرجا، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصور، ط ٢، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ).
٢٤. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري البغدادي، الطبقات الكبرى مع الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، ط ١، (الطائف: مكتبة الصديق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
٢٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، د. ط،

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

(تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» د-ط ١٩٨٤هـ، (الدار التونسية للنشر - تونس).

٢٧. ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي، معجم الصحابة لابن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصري، ط ١، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨هـ).

٢٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط ٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، (د. م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٣٠. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١، (د. م: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٣١. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين، المبدع في شرح المقنع، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان).

٣٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، ط ٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٣٣. أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت).

٣٤. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر).

٣٥. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، د. ط، (د. م: دار

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

الفكر العربي، د. ت).

٣٦. أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، د-ط: ١٩٩٨م، (دار الغرب الإسلامي - بيروت).

٣٧. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني، معرفة الصحابة، ط ١، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٣٨. الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين للأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط ١، (د. م: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).

٣٩. الأفغاني، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، (دار الصمعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية).

٤٠. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).

٤١. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، (د. م: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ).

٤٢. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ط ١١٤٢٢ هـ (دار طوق النجاة) (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

٤٣. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، التاريخ الكبير، د. ط، (حيدر آباد - الدكن: دائرة المعارف العثمانية، د. ت).

٤٤. البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي، من بلاغة القرآن، د. ط، (القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٥ م).

٤٥. البغدادي، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي، معجم

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

- الصحابة، المحقق: صلاح بن سالم المصري، ط ١، ١٤١٨، (مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة).
٤٦. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٤٧. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
٤٨. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د. ط، (القاهرة: دار الكتب الإسلامية، د. ت).
٤٩. البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).
٥٠. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
٥١. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
٥٢. البيهقي، شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند).
٥٣. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان).
٥٤. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ط ٢، (مصر: شركة ومطبعة

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٥٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الجامع الكبير - سنن الترمذي،

تحقيق: بشار عواد معروف، د. ط، (بيروت: دار الغروب الإسلامي، ١٩٩٨م).

٥٦. التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع، تفسير التستري، جمعه: أبو بكر محمد

البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية - منشورات محمد

علي بيضون، ١٤٢٣هـ).

٥٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن،

تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط ١، (بيروت - لبنان:

دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٥٨. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق

قمحاوي - عضو مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، د. ط، (بيروت: دار إحياء التراث

العربي، ١٤٠٥هـ).

٥٩. الجليند، محمد السيد، الوحي والإنسان، د. ط، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.

ت).

٦٠. الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي.

٦١. الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط،

(بيروت: المكتبة العلمية، د. ت).

٦٢. الحموي، معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط ٢،

١٩٩٥م (دار صادر، بيروت).

٦٣. الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، ط ١، (د. م: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

- ٢٠٠١م).

٦٤. خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، طبقات، المحقق: د

سهيل زكار، ١٤١٤د - ط، ه = ١٩٩٣م (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

٦٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م (مؤسسة الرسالة)
٦٦. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ).
٦٧. الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الخطيب، ط ٣، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ).
٦٨. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح.
٦٩. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط ١، (المملكة العربية السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ١٤٠٧ هـ).
٧٠. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، د-ط، د-ت (دار الثقافة العربية).
٧١. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
٧٢. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ).
٧٣. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، (د. م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م).
٧٤. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط ١٥، (د. م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

٧٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
٧٦. زواوي، أحمد بن عبد الفتاح، شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، د. ط، (الإسكندرية: دار القمة، د. ت).
٧٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط ١، (د. م، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
٧٨. السمرقندي، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي، تحفة الفقهاء، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان).
٧٩. السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، (دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر).
٨٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، د. ط، (د. م: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د. ت).
٨١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني، ط إلكتروني، (المكتبة الشاملة).
٨٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، (دار الكتب العلمية بيروت - لبنان).
٨٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، (د. م: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
٨٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الدر المنثور، د. ط، (بيروت: دار الفكر، د. ت).
٨٥. الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط ١٧، (بيروت - القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

٨٦. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الاعتصام**، تحقيق: سليمان بن عيد الهلالي، ط ١، (المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٨٧. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، (المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
٨٨. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران، ط ١، (المملكة العربية السعودية: دار التدمرية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٨٩. شرف الدين، جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط ١، (بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢٠هـ).
٩٠. الشعراوي، **تفسير الشعراوي - الخواطر**، محمد متولي الشعراوي، ط بدون، (د. م: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م).
٩١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، قدّم له: الشيخ خليل الميس، د. ولي الدين صالح فرفور، ط ١، (د. م: دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
٩٢. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير**، ط ١، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
٩٣. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، (د. م: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
٩٤. الصابوني، محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، ط ١، (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

٩٥. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١هـ).
٩٦. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د. ت).
٩٧. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، (د. م: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٩٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، (د. م: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
٩٩. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة السفارينية - الدررة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ط ١، ١٤٢٦هـ، (دار الوطن للنشر، الرياض)
١٠٠. العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام أبي القاسم بن الحسن، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، د. ط، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م).
١٠١. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط ١، (سوريا: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
١٠٢. عويضة، محمد نصر الدين محمد عويضة، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، د-ط، د-ت.
١٠٣. الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية)
١٠٤. الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي أبو جعفر، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، د. ط، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ

(١٩٩٠م).

١٠٥. الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
١٠٦. الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د. ط، (القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، ١٤١٩هـ).
١٠٧. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، د. ط، (د. م: دار ومكتبة الهلال، د. ت).
١٠٨. الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، شرح الأصول الثلاثة، ط١، (د. م: د. ن، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م).
١٠٩. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، (بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م).
١١٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (المكتبة العلمية - بيروت).
١١١. القرشي، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري، تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تحقيق: ميكلوش موراني، ط١، (د. م: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م).
١١٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م).
١١٣. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت).
١١٤. القضاعي، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر، التكملة لكتاب الصلاة، تحقيق: عبد السلام

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

- المهراس، د. ط، (لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
١١٥. قلعجي، قنيبي، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ط ٢، (د. م: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).
١١٦. الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (دار الكتب العلمية).
١١٧. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط ١، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
١١٨. المالكي، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط ١، (جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
١١٩. الماوردي، أبو الحسن، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، د. ط، (د. م: دار الكتب العلمية - مؤسسة الكتب الثقافية، د. ت).
١٢٠. المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).
١٢١. المخزومي، تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، ط ١، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).
١٢٢. مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (دار الكتب العلمية، لبنان).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

١٢٣. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط ١، (د. م: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
١٢٤. المرادوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (مكتبة الرشد - السعودية / الرياض).
١٢٥. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي - بيروت).
١٢٦. مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ط ٤، (د. م، دار القلم، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
١٢٧. المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي، المغرب-ط، د-ت، (دار الكتاب العربي).
١٢٨. المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط ١، (القاهرة- مصر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، النبلاء للكتاب، مراكش- المغرب، د. ت).
١٢٩. المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط ١، (المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب).
١٣٠. النخجواني، نعمة الله بن محمود، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ط ١، (مصر: دار ركايا للنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
١٣١. النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (دار الجيل، بيروت).

المقاصد القرآنية في ضوء سورة الحجرات

١٣٢. النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، (د. م، د. ن، ١٤١٥هـ).
١٣٣. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني، **المستدرک علی الصحیحین**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
١٣٤. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
١٣٥. الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري، **ذم الكلام وأهله**، تحقيق: عبد الرحمن عبد الرؤوف الشبل، ط ١، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
١٣٦. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
١٣٧. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، **أسباب نزول القرآن**، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (دار الإصلاح - الدمام)

** ** **